وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

شواهد الشعر الجاهلي في تفسير الطبري (ت ٣١٠هـ)

(دراسة في القيم الفنية والتوظيف التفسيري)

رسالة تقدّم بها الطالب
رعد ماموك حسين عبد

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف
الأستاذ المساعد
سعد خضير عباس

ربيع الثاني١٤٣٤هـ

آذار ٢٠١٣م

مدخل:

ليس من اليسير حصر الشعر العربي في أغراض معينة، فلقد ((نظر الأقدمون في الشعر العربي للتعرف على فنونه وموضوعاته، وتصنيفها ووضع كل منها تحت العنوان الذي يناسبه، فاختلفوا اختلافا كبيرا لاختلاف المنهج))[١]، ولا يمكن أن توضع القصيدة العربية في العصر الجاهلي في غرض واحد أو فن تجاهلًا إن للقصيدة مرمى وهدفا ابتغاه الشاعر غير ما يراه الباحث في تبويبه لقصيدة ذلك العصر، بل وحتى لبيت من أبياتها في غرض معين، وعند دراستي الشعر الجاهلي الذي استند إليه الطبري في تفسيره، وفي قراءتي دواوين الشعراء الجاهليين، وتحليل الأبيات وشرحها في أكثر من ديوان ومصدر، فضلًا عن المجاميع الشعرية التي قرأتها وجدتُ أن أغلب الأبيات تحمل في طياتها أكثر من تفسير وتأويل، وبالتالي تختلف الرؤيا في وضع القصيدة في غرض خاص، وإن ذلك التقسيم يجعل من ((القصيدة الجاهلية مجرد مجموعة من الأغراض المتنافرة التي لا يربط بينها سوى وحدة الوزن والقافية والقائل الشاعر))[٢].

ولذا يرى بعضهم أن للقصيدة الجاهلية ((مستوى ثانيا يختبئ وراء المعنى الظاهر المتعدد، وفي المستوى الثاني أو التحتي يتوحد الموضوع، وتتحقق الوحدة الفنية أو الجمالية للقصيدة الجاهلية))[٣].

أَما البواكير الأولى في ((أقدم من حأول تقسيم الشعر العربي جاهليا وغير جاهلي إلى موضوعات ألّف فيها ديوانا هو ابو تمام المتوفى حوالي (٢٣٢هـ) فقد نظمه في عشرة موضوعات، هي الحماسة، والمراثي، والأدب، والنسيب، والهجاء، والأضياف ومعهم المديح والصفات والسير، والنعاس والملح، ومذمة النساء، وهي موضوعات

(١) الأدب العربي بين البادية والحضر: د. ابراهيم عوضين، وكيل كلية اللغة العربية بالمنصورة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م: ١٣١.
(٢) دراسات في الأدب الجاهلي: د. عبد العزيز نبوي، الناشر لخدمات الطباعة ، مطبعة حسان، شارع الجيش، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م: ١٣.
(٣) دراسات في الأدب الجاهلي: ١٣٠.

يتداخل بعضها في بعض، فالحديث عن الأضياف إما أن يدخل في المديح أو في الحماسة والفخر، والسير والنعاس يدخلان في الصفات، كما تدخل مذمة النساء في الهجاء))[١].

ثم جاء من بعده قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) في كتابه (نقد الشعر) ليقسم الشعر على ستة أغراض أسماها النعوت وهي نعت المدح، والمراثي، والتشبيه، والوصف، والنسيب[٢].

وجاء ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) ليقسم موضوعات الشعر في كتابه العمدة على تسعة أبواب وهي النسيب، والمديح، والافتخار، والرثاء، والاقتضاء والاستنجاز، والعتاب، والوعيد والانذار، والهجاء وباب الاعتذار[٣]، وفي هذا التقسيم نجد أنه يمكن ضم بعض الموضوعات إلى الموضوعات الآخرى التي تشكل المركزية الاساسية ولها قصب السبق، من بين الموضوعات أو الأغراض الآخرى في الشعر العربي وكان ((من السهل أن يرد موضوع الاقتضاء والاستنجاز إلى المديح، والوعيد، والانذار إلى الهجاء وأن يضم العتاب إلى الاعتذار، وأيضا فإنه نسي موضوع الوصف))[٤]، والدارس لموضوعات الشعر الجاهلي يجد أن الموضوعات كثيرة، إلا ان نجد أن هناك أغراضا شاعت وطغت على الأغراض الأخرى كما يقول أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) عند دراسته أغراض الشعر ((ولما كانت أغراض الشعر كثيرة ومعانيها

(١) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): ١٩٥.
(٢) ينظر: نقد الشعر: لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م: ٦٤ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٢٣.
(٣) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه: للامام أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق محمد عبد القادر احمد عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م: ٢/ ٦٥، ٧٧، ٩٢، ١٠٦، ١٠٩، ١١٥، ١١٨، ١٢٣.
(٤) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): ١٩٥.

متشعبة جمة لا يبلغها الاحصاء كانت من الوجه أن نذكر ما هو أكثر استعمالا وأطول مدارسة له وهو المدح والهجاء والوصف والنسيب والمراثي والفخر)) [١].

وفي استقرائي لأبيات من الشعر الجاهلي في تفسير الطبري وجدت ان هذه الأغراض كانت هي البؤرة والمحور الذي اعتمده الطبري في استشهاده بالشعر، وتوظيفه الشاهد الشعري، ومما ينبغي ذكره أن هناك أغراضا آخر استقرأتها ووجدتُ لها حضورًا في التفسير مثل غرض الحكمة لما له ـ بطبيعة الحال ـ من التصاق بمفاهيم آيات الذكر الحكيم وسوف أولج هذا الفصل في دراسة شمولية في رصد هذه الأغراض ودراستها متسلسلة على وفق كثرة الشواهد التي وردت في التفسير التي بوبتها واحصيتها في الموضوعات والأغراض المتسمة والخاصة بها.

(١) كتاب الصناعتين: ١٣٧.

١. غرض الوصف:

ويُراد به ((وصفَ الشيءَ له وعليه وَصْفًا وصِفةً حَلّاه))[١]، ويُعدّ من أهم الموضوعات وأكثرها اتّساعًا في الشعر الجاهلي، وهو ((من الفنون البارزة التي برع فيها الشعراء الجاهليون، فقد نظروا في الطبيعة الصحراوية ودققوا النظر، فوصفوا كلّ ما وقعت عليه أعينهم))[٢]، ويندرج الكثير من الشعر الجاهلي تحت هذا الغرض[٣] وأن ((الشعر إلا أقلّه راجعٌ إلى باب الوصف))[٤]، فقد تمازجت الطبيعة الصحراوية مع الإنسان ، ونظرا إلى ما زخرت بهذه الطبيعة من نبات وجبال ورمال وشعاب ووديان ، وما صاحبته من مظاهر طبيعية من رياح وبرق ورعد وأمطار، وما كان اعتمادهم عليه في تحصيل قوتهم، ورفيق رحلاتهم، وحروبهم وهو الحيوان ، فوصف الشعراء كله ذلك، وأهم أوصافهم :

أ. وصف الطبيعة :

كانت الطبيعة وما فيها من سماء، ورياض، وصحراء أحاطت بالشعراء، وشحذت في قلوبهم فك طلاسمها، فراح فكرهم يصورها في صور بلاغية معبرة عن جمالها البهيج[٥] وراحوا يخاطبونها ويشكون همومهم من خلالها بأساليب شتى، والطبري أورد قول الخنساء[٦] وقد صورت مظهرًا من مظاهر الطبيعة وهو الليل الذي كان عندها طويلا متمنية زواله وحلول الفجر قائلة :

---

(١) لسان العرب: للامام العلامة ابن منظور، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة والاساتذة المتخصصين، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، م٩: ٣١٩ ، مادة (وصف).

(٢) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه:٢٤٩.

(٣) ينظر: دراسات في أدب ونصوص العصر الجاهلي:٢١١ د. عبد القادر أحمد، مكتبة النهضة المصرية، لأصحابها حسن وأولاده، ٩ شارع عدي باشا بالقاهرة، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م:٢١١.

(٤) العمدة:٢/٢٣٠.

(٥) ينظر المبالغة والغلو عند شعراء المعلقات العشر - دراسة بلاغية : حمدية عباس جاسم ، رسالة ماجستير أجازتها كلية التربية جامعة بغداد ، بإشراف أ. د . احمد اسماعيل النعيمي ، ذي القعدة، ١٤٢٦هـ - كانون اول ٢٠٠٥م: ٧٣.

(٦) تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية (طبقات فحول الشعراء:١/٢٠٣).

أَرْعَى النُّجُومَ وَمَا كُلِّفْتُ رِعْيَتَهَا وَتَارَةً أَتَغَشَّى فضْلَ أَطْمَارِي [١]

ولم يكن ليل الخنساء وحده طويلا، بل جاء الطبري بقول النابغة الذبياني[٢]، بهذا المضمون في طول ليله فقال :

كِلِيْنِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ وَلَيْلٍ أُقَاسِيْهِ، بَطِيءُ الكَواكِبِ[٣]

وهنا يضفي على كواكب ذلك الليل صفة خاصة وهي أنها لا تغور .

أما لبيد بن ربيعة[٤] فراح يصور سحابة أصابت العديد من القبائل العربية، فسقت بني مجد وهم قوم يُنسبون إلى أمهم، وهم قوم أولاد مجد بنت تميم بن غالب، أما أبوهم فهو ربيعة بن عامر بن صعصعة، وسقت أرض نمير وهو اسم الأب لقبيلة من قبائل قيس بن صعصعة بن بكر بن هوازن، وسقت أرض هلال وهو الأب لحي من أحياء قبيلة هوازن[٥]، فقال واصفًا تلك السحابة:

سَقَى قَومِي بَنِي مَجْدٍ وأَسْقى نَمِيْرًا وَالقَبَائِلَ منْ هِلالِ[٦]

وكان للرياح نصيب في وصف الشعراء الجاهليين فالنابغة الذبياني وصف لنا ريحًا هبّت من أرض غطفان[٧] فقال فيها:

وَهَبّتْ الريحُ من تِلقاءِ ذي أُرلِ تزجي مَعَ الليلِ من صَرادِها صَرما[٨]

---

(١) ديوان الخنساء ، تحقيق د . درويش الجويدي المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت الطبعة الاولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م : ٨٥، تفسير الطبري: م ٧، ج١١ : ٢٣٠ والبيت من البسيط .

(٢) زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان (طبقات فحول الشعراء: ٥١/١).

(٣) ديوان النابغة الذبياني ، د . عمر فاروق الطباع ، دار القلم - بيروت - لبنان : ١٧ ، تفسير الطبري : م١٢ ، ج٢٣: ٢٠٢ والبيت من الطويل.

(٤) لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر، ينظر:(طبقات فحول الشعراء:١٢٣/١).

(٥) ينظر: شرح ديوان لبيد: حققه وقدم له د. احسان عباس، طبع بمطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٢م: ٩٣.

(٦) ينظر: شرح ديوان لبيد:٩٣؛ تفسير الطبري: م٨، ج١٤: ١٤، والبيت من الوافر.

(٧) ينظر: ديوان النابغة: ١٠٩.

(٨) ديوانه: ١٠٩؛ وتفسير الطبري: م٨، ج١٣ :٦٤. والبيت من البسيط.

ب. وصف الحيوان :

كانت الحيوانات قريبة من نفس الإنسان وعواطفه في العصر الجاهلي ، وكان لها أشد الأثر في يوميات حياتهم ، فاعتنوا بها عناية كبيرة ووصفوا أجسام الحيوانات وقوتها وعاداتها وطباعها وابرز الحيوانات التي أحبوها وارتبطوا بها ارتباطا وثيقا :

ـ **الخيل** : أحب الإنسان العربي الخيل، بل وجد في نفسه محبتها ، قال (تعالى):

((زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ المسومة والأنعام وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ))[١]، ولقد أعطى الإسلام هذا الحيوان مكـــــانة ميزته من بقية الحيوانات الأخرى فقال النبي محمد (ﷺ): ((**الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة، الاجر والمغنم**))[٢].

ولذلك عُنيَ العربي بالخيل فهي صديقته في الحرب والسلم ، ففي الحرب وسيلته في الصول على الأعداء، وكانت صديقة الشاعر في السلم، ومن أهم وسائل حياته في الصيد والتسلية، ((ولم يعن الجاهليون بحيوان عنايتهم بالخيل ، فهي حبيبة إلى نفوسهم عزيزة عليهم ، يكرمونها ويؤثرونها بالطعام والشراب ، وهي زينة الفارس يمتطيها في نزهه وصيده ، وتكون حصنه عند الغارة، وسلاحه في الكر ونجاته عند الفرار، ولذلك خصوها بعناية فائقة))[٣].

ولم يقف الأمر عند هذا حسب، بل اختاروا لها أجمل الألوان ليصفوها به وانـــها عزيزه مصونة مثل الثياب الجميلة التي تصان وتحفظ بقطعة قماش تســـــمى (البقجة) لتباع بأغلى الأثمان وهي ذات لون أرجواني يشبه اللون الأحمر وهي فـــــي

---

(١) آل عمران:١٤.
(٢) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ) مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح صبيح واولاده بميدان الازهر بمصر، ج٦ (باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة):٣٢.
(٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه : ٢٥٣.

وشي وهيئة تجذب النفوس، هي ايضا ذات لون ما بين الأسود والأحمر يسمى الكميت، وهذا المعنى نجده في البيت الذي استشهد به الطبري من قول علقمة بن عبدة[١]:

كُمَيتٌ كَلَونِ الارْجُوانِ نَشَرتهُ لِبَيْعِ الرَئيِ فِي الصُّوانِ المُكَعَّبِ[٢]

وكانت العرب تَسِمُ الخيلَ أي تعلِّمها بعلامة، و هذا المعنى أشار إليه لبيد بن ربيعة وهو يفتخر بخيله التي أتت على العدو في معركة حدثت بأرض القرنتين بين غطفان وبني عامر[٣]، إذ يقولُ :

وَغَداةَ قاع القرْنتينِ أتيَنهُم زُجلًا يَلوحُ خِلَالَها التَّسويمُ[٤]

وبرزت في العصر الجاهلي جماعة من الشعراء يطلق عليها (الفرسان) جادوا في ركوبهم الخيل، وكانت لهم ((بطولة نادرة في حربهم عليها لخصومهم، وأقرانهم، وهم كثيرون، فقد كان لكل قبيلة فارسها أو فرسانها الذين يتدربون على ركوب الخيل طويلا وكيف يقفزون عليها ويشهرون سيوفهم، ويلوحون برماحهم، وكيف يسددون ضرباتهم لأعدائهم، وتلقانا دائما أسماؤهم وخاصة في حروبهم الطويلة مثل حرب البسوس وفارسها المهلهل التغلبي))[٥]، ومن ابرز شعراء هذه الطائفة ((ومن فرسانها المشهورين عامر بن الطفيل[٦] فارس بني عامر بن صعصعة أقوى عشائر هـــــوازن وأشدها بأسا))[٧].

---

(١) علقمة بن عبده بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة ،(طبقات فحول الشعراء:١٣٧/١).
(٢) ديوان علقمة بن عبدة شرحه وعلق عليه وقدم له سعيد نسيب مكارم ، دار صادر بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٦٦: ١٤.، وقد وردت في الديوان لفظة (الرداء) بدل (الرئي)؛ تفسير الطبري: م٩، ج١٦ :١٥٢ . والبيت من الطويل.
(٣) ينظر: شرح ديوان لبيد: ١٣٣.
(٤) المصدر نفسه:١٣٣، ووردت كلمة (رهوًا) بدل (زجلا) ، تفسير الطبري: م٣، ج٢٦٤:٣. والبيت من الكامل.
(٥) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): ٣٦٦.
(٦) هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري وهو ابن عم لبيد الشاعر وكان فارس قيس ويبدو ان الامام العباس (عليه السلام) توارث شجاعة ابيه وامه، فمن جهة الاب ابوه علي بن ابي طالب (عليه السلام)، ومن جهة الأم أمه المعروفة بأم البنين، وهي فاطمة بنت حزام بن عامر بن كلاب وقبيلتها الكلابية، اشجع القبائل عند العرب وهي تنتمي في نسبها إلى عامر بن الطفيل الذي عمه عامر بن مالك الذي يطلق عليه ملاعب الاسنة.(الشعر والشعراء :١ / ٣٢٢-٣٢٣). وام البنين رسالة إلى المرأة المسلمة: عبد العظيم المهتدي البحراني، مؤسسة عاشوراء للطباعة والنشر، من اصدارات جمعية اهل البيت (عليهم السلام)، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م: ١٩، ٢٣.
(٧) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): ٣٦٦.

ومن الحيوانات الأخرى التي وصفوها:

الناقة :

إنها رفيقة الدرب الطويل في الصحراء، ومصدر رزق العربي وقوته، وصور طرفة بن العبد[١] الناقة في معلقته، وبين سرعتها في السير مع ضمورها، وأشار إلى قوة عظامها ووصف فقارها وجمجمتها وعنقها، وصاغ ذلك كله في ثمانية وعشرين بيتاً من أبيات معلقته ومثلما أخذ وصف الناقة مأخذه في معلقة طرفه بن العبد نجد ان معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي[٢]، لم تخلُ من هذا الوصف للناقة مستعملا صوراً شتى ينشرها عليها منها أنها ناقة عيطل، بمعنى أنها طويلة العنق، وذات بياض خالص، يسمى هِجان، وانها ادمة بياض اللون لم تحمل ولداً في رحمها، وأنها بكراً أي حملت بطناً واحداً وان ذراعيها ممتلئتين لحماً[٣] ونجد هذا الوصف في البيت الذي ساقه الطبري في تفسيره من معلقة عمرو بن كلثوم الذي قال فيه :

ذِرَاعِي عَيْطَلٌ ادمَاءُ بَكرٍ هِجَانِ اللّونِ لَم تَقرَأ جَنِينًا[٤]

اما المثقب العبدي[٥] فهو يشعر ويتحسس بآلام ناقته عندما يحملُ عليها رحله وعدة سفره فتتأوه لذلك كما في البيت الذي جاء به الطبري من أبيات المثقب الذي قال فيه:

إذا مَا قُمْتُ أُرْحِلَهَا بِلَيْلٍ تَأوَّهَ آهَةَ الرَّجُلِ الحَزِيْنِ[٦]

---

(١) طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة (طبقات فحول الشعراء : ١٣٧/١).
(٢) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم (طبقات فحول الشعراء :١٥١/١).
(٣) ينظر شرح المعلقات السبع : للامام أبي عبد الله الحسين بن احمد بن الحسين الزوزني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م: ١٠٣-١٠٤.
(٤) ديوان عمرو بن كلثوم ، شرحه وضبط نصوصه وقدم له ، د . عمر فاروق الطباع ، دار العلم بيروت ـ لبنان: لبنان: ٦٠ ، تفسير الطبري م١، ج١ :٥٢ والبيت من الوافر.
(٥) عائد بن محسن بن ثعلبة بن وائله بن عدي (طبقات فحول الشعراء ٢٧١/١).
(٦) شعر المثقب العبدي: تحقيق الشيخ محمد حسن ال ياسين دار المعارف للتأليف والشعر مطبعة المعارف ـ بغداد : ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م : ٣٩ ، تفسير الطبري : م٧، ج١١ : ٦٩ والبيت من الوافر.

واختار امرؤ القيس البكر: وهو الصغير من الإبل[١] ليصف به حال الإنسان وما سيؤول إليه عند الكبر، فقال:

أرَى المرْءَ ذَا الأذوادِ يُصبِحُ مُحْرِضًا كَإحرَاضِ بَكرٍ في الدّيارِ مريضِ[٢]

الثور :

اضفى الشعراء على الثور لباس الشجاعة، والقوة، وتصوير صراعه وانتصاراته على الحيوانات الآخرى، والطبري ذكر أبا ذؤيب الهذلي[٣] بقوله وهو يصف لنا صراع الثور واستعداده للكلاب التي حاولت قتله:

فَانْصُرْنَ مِنْ فَزَعٍ وَسِدَّ فُرُوْجَهُ غَيْرَ خوارٍ وَافيانَ وَاجَذع[٤]

أي ان سد فرجه تعبيرًا عن قوته وان هذه الكلاب منها وافيان أي سالمان الاذن، ومنها الاجدع وهو الكلب الذي قُطعت أذنه وقد انتصر عليها الثور في المعركة.

ج. وصف الخمرة :

وقف الشعراء امام الخمرة وقفة شاعرية متأنية، فنكاد لا نجد شاعرًا يخلو شعره من ذكرها، وكانت لهم ((وقفة هادئة متأملة فيها فن وابداع ، وقد تناولوا الخمر و وصفوا مجالسها وأثرها في شاربيها ، وذكروا لونها، وصفاءها، وطعمها وما تفعله في النفوس

---

(١) ينظر: ديوانه :٧٧.
(٢) المصدر نفسه: الصفحة نفسها؛ تفسير الطبري: م٨، ج١٣:٥٥، والبيت من الطويل.
(٣) خويلد بن خالد بن مُخَّرث بن زبيد بن مخزوم بن حاهلة بن كاهل بن الحارث (طبقات فحول الشعراء : ١٣١/١).
(٤) المفضليات : المفضل بن محمد بن يعلي الضبي ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، الطبعة السادسة دار المعارف كورنيش النيل القاهرة ، ج . م . ع : ٤٢٦ ، ووردت لفظة (فاهتاج) بدل (فانصرن) تفسير الطبري م٣ ، ج٣ :٧٢ ، والبيت من الكامل.

وكان من حُبِّهم للخمر أن شبهوا ريق محبوباتهم بالخمر طيباً ونكهة))[١].

وليس هذا فحسب بل بلغ تعلقهم بها انهم كانوا يضعوها في آنية خاصة تسمى (الدُّن) ويدعو لها أن لا تفسد وتبقى صالحة للشرب وقد ذكر الطبري بيت الأعشى[٢] الذي يفضي عن هذا المعنى الذي قال فيه:

وَقَابلَها الرِّيحَ في دَنِّــهَا وَصلَّى عَلى دِنِّهَا وَارْتَسَم[٣]

والارتسام بمعنى التكبير والتعويذ[٤].

ويبدو أن شرب الخمر كان من الصفات النبيلة في نظرهم، إذ كانت علامة السخاء عندهم وشاحذة للهمة في انفسهم، تدفعهم إلى الكرم، بل حتى البخيل يهين من أجلها ماله إذا أديرت عليه، الطبري أورد قول عمرو بن كلثوم الذي بين فيه آثار الخمر في النفوس:

تَرَى اللِّحزَ الشَّحِيحَ إذا أُمِرَّتْ عَلَيــهِ لِمَالِهِ فِيْهَا مُهِـيْنَا[٥]

وفي ذات السياق في الحديث عن الخمر تجدر الإشارة إلى أن الأعشى عد أكثر الشعراء إشادة بالخمر واصفاً مجالس الخمارين وما تتركه الخمرة من أثر في النفوس وكان ((شاعر الخمر بلا منازع فلم يترك معنى من معانيها أو صفة من صفاتها إلا ذكرها وأفتن وقد اجاد في تصوير أثرها في الشاربين والرؤوس والمفاصل والعظام))[٦].

---

(١) الشعر الجاهلي ، خصائصه وفنونه : ٢٧٨.
(٢) ميمون بن قيس بن جندل بن شراحبيل بن عوف بن سعد (طبقات فحول الشعراء: ٥٢/١).
(٣) ديوان الاعشى ، شرحه وضبط نصوصه وقدم له الدكتور عمر فاروق الطباع ، دار القلم ، بيروت ـ بيروت ـ لبنان :٢٢١ ، تفسير الطبري : م١، ج١ : ١٣٦ والبيت من المتقارب.
(٤) ينظر ديوانه : ٢٢١.
(٥) ديوانه:٥٥؛ تفسير الطبري: م١٤، ج٢٨ : ٥٥ والبيت من الوافر .
(٦) ادب العرب في العصر الجاهلي : ١٥٨.

ونجده عارفاً بأي وقت تشرب وأن شربها في الصباح يبعث الانقباض في النفس، أما في الليل فتترك أثرًا طيبًا في النفس وتبعث اللذة فيها، والطبري جاء بقول الأعشى :

لَنا من ضُحاها خُبْثُ نَفْسٍ وكآبة وَذِكْرَى هُمُومٍ مَا تَغِبّ إذاتُهَا

وَعِنْدَ العَشِيّ طِيبُ نَفـسٍ وَلَـذّةٌ وَمَـالٌ كَثِيرٌ غُدْوَةً نَشَوَاتُهَا[١]

وذكر الطبري ما قاله الأعشى أيضًا من وصف الخمرة، إذ أنها الصليفية، وهي المعتقة الطيبة في الطعم والمذاق وان لها زبد وهو خيار الشي:

صَرِيفَيَّةٌ طَيِّبًا طَعْمُهَا لَهَا زَبَد بَيْن كُوب وَدَنّ[٢]

لذا برز الأعشى في هذا الوصف ((فقد ملكت الخمر عليه اقطار نفسه لدرجة جعلته يكف عن لقاء الرسول (ﷺ) لأنه يحرم الخمر واجادته لوصف الخمر جعلت القدماء يقولون عنه (انه اشعر الشعراء إذا طرب) أي إذا شرب الخمر))[٣] .

ومن خلال دراستي لغرض الوصف وجدت أنه كان أكثرُ الأغراض في تفسير الطبري ودار في محاور عدة منها :-

١. وصف الطبيعة وما فيها، من وصف الصحراء، ووصف المياه، والأشجار، وما تمر عليها من مظاهر، كالليل، والنهار، والسحاب، والأمطار.

٢. وصف الحيوانات وحياتها اليومية وما ألم بها من أحداث في الحياة .

---

(١) ديوانه :٤٢ ، وردت لفظة (العشي) بدل (العشاء) ، تفسير الطبري : م٢، ج٢: ٤٧٧ والبيتان من الطويل.
(٢) ديوانه : ٢٣٩ ، وردت لفظة (صليفية) بدل (صريفية)، تفسير الطبري: م١٣، ج ٢٧ : ٢١٥ والبيت من المتقارب.
(٣) دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

٣. شغلت ساحة الحرب وصف الكثير من الشعراء الذين تفننوا بشجاعتهم بـــــــها وانتصارهم على العدو .

٤. الخمرة ومجالسها كانت من الموضوعات التي شغلت ذهن الشعراء فوصفوها وابدعوا في وصف مجالسها وآنيتها .

٥. رحيل الأحبة، وذكر الديار وما اختلجت به النفس من مكنونات الحب والهوى وما خلفه ذلك من أثر في نفوس الشعراء فوصفوا وصفا دقيقا ما دار في اذهانهم، وما جاشت به مشاعرهم من فيض وألم، وحنين، ولواعج حب وذكرى، فجادت قرائحهم بأعذب شعر في ذلك الموضوع وأحسن فاحتل مساحة واسعة من مقدمات قصائدهم الطوال .

٢. غرض المدح :

هو ((نَقِيضُ الهِجَاءِ وَهُوَ حُسْنُ الثّناءِ))[١]، ويراد به ((إضفاء الصفات الحميدة إطلاقاً على شخص أو جماعة ، وقد طرقه الشاعر الجاهلي عند تعرضه للأيام لإضفاء صفات البطولة على قومه أو على فرد منهم)) [٢]، وحفل الشعر الجاهلي بقصائد المدح في مختلف عصور الأدب، ولو استطلعنا وتتبعنا بدقة قصور الخلفاء، والملوك، والأمراء لقلما تجد قصراً أو بلاطًا يخلو من شاعر غرضه الاساس مدح الممدوح وتخليد فتوحاته وانجازاته ، وكانت المعاني الأخلاق، والفضائل، كالكرم، والشجاعة، والعفة أغلب ما يدور في شعر هذا العصر الذي يمكن تقسيمه على الوان ثلاثة :

١. **شعر غايته الشكر والعرفان**: في هذا اللون يهدف الشاعر في مدحه ذكر فضل الممدوح وإحساسه، وشكره دون بغية الشاعر في نيل الجوائز والعطايا من الممدوح.

٢. **وسيلة للتكسب** : اتخذ الشعراء هذا اللون من الغرض وسيلة لنيل الأموال والهدايا وكان الشعراء بهذا اللون يقدمون ((على السادة المبرزين وملوك المناذرة والغساسنة يمدحونهم وينالون جوائزهم وعطاياهم الجزيلة وأخذوا في أثناء ذلك يعنون بهذه القصائد عناية بالغة حتى تحقق لهم ما يريدون من التأثير في ممدوحيهم واشتهر بذلك زهير[٣]، والنابغة وحسان بن ثابت، أما زهير فاختص بأشراف قومه، وأما حسان فأختص بالغساسنة ولعلقمة بن العبد فيهم

---

(١) لسان العرب: م٨: ٢٢٧، مادة (مدح).
(٢) أيام العرب واثرها في الشعر الجاهلي: منذر الجبوري ، دار الشؤون الثقافية العامة الاعظمية بغداد العراق ط٢ ١٩٨٦م : ٢٠.
(٣) زهير بن أبي سلمى واسم ابي سلمى ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن (طبقات فحول الشعراء: ٥١/١).

مفضلية بديعة نظمها في الحارث الأصغر يتشفع لأخيه وقد وقع في يديه أسيرًا، وأما النابغة فقد خص النعمان بن المنذر بمدائحه))[١]، ومن أمثلة هذا اللون من الشعر ما ذكره الطبري من قول الأعشى الذي اخضع قبيلة الرباب لملكه وبعد أن رفضوا الطاعة له فقال:

هُو دَان الرَّبَابِ إِذْ كَرِهُوا الـ دِّينِ دِرَاكاً بِغَزوةٍ وَصِيالِ[٢]

٣. **لون ثالث** : يمكن أن نسميه مديح حقيقيا نجد فيه الشاعر لا يبحث فيه عن مال أو جائزة وإنما يقول هذا اللون تعبيراً عن الحب والولاء لمن يمدحه[٣]، وأورد الطبري في هذا اللون من المدح قول زهير بن أبي سلمى في أبياته التي عبر فيها عن مدحه لسيدين الحارث بن عوف وهرم بن سنان ذاكراً بهذه القصيدة دورهما في إطفاء نار الحرب وإفشاء السلم بين عبس وذبيان وبذلهما المال والمعروف من القول لكي ينهوا هذه الحرب فقال:

وَقَدْ قُلتُما إنْ نُدرِكِ السِّلمَ وَاسِعاً بِمَالٍ وَمعْروفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلمِ[٤]

٤. **أما الاعتذار** : فهو لون نشأ من المديح وتتداخل في هذا اللون عاطفة الخوف سطوة الممدوح أو حكمه مع الشكر والرجاء لنيل رضا الملوك والأمراء الممدوحين ولطلب العفو منهم، نجد في هذا اللون ما جاء به الطبري من بيت للنابغة الذبياني في مدح الغساسنة ليفك أمر قومه[٥]، ممّا أدى إلى غضب النعمان

---

(١) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي): ٢١١.
(٢) ديوانه: ١٩٨ ، تفسير الطبري : م٣، ج٣ : ٢٧٤ والبيت من الخفيف.
(٣) ينظر: دراسات في الأدب الجاهلي: ١٨٣.
(٤) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، شرح وتحقيق الدكتور احمد طلعت استاذ الدراسات العربية بجامعة كولون ـ المانيا ـ منشورات دار القاموس الحديث ـ دار الفكر العربي بيروت، ط١، ١٩٦٨م : ٢٤ ، تفسير الطبري : م٢، ج٢: ٤٣٠ والبيت من الطويل
(٥) ينظر: دراسات في الادب الجاهلي ١٨٣ ـ ٢٨٤ ، وينظر: تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي):٢١١ .

ابن المنذر على الشاعر فبدأ الشاعر يقدم اعتذارته للملك وهو ينشر عليه مفهوم (السورة) التي هي بمعنى الرفقة والشرف والمكانة وأنه بمنزلة مستقرة وثابتة، بينما الملوك دونه مضطربين وغير مستقرين إذ قال:

أَلَمْ تَرَ أنّ اللهَ اعْطَاكَ سَوْرَةً تَرَى كُلَّ مَلكٍ دُونَها يَتذبْذَبُ[١]

وأضفى الشعراء على ممدوحيهم في هذا الغرض جميع المعاني والخصال الحبيبة، ومن ابرز الخصال الشجاعة التي كانت يتبارون من أجل أن يصفوا بها بل أحبوا الموت من أجلها وكان غمار الحروب لكي يصفوا ويمتدحون بها ، وفي هذا المضمون ذكر الطبري قول الأعشى في مدح هوذه بن علي الحنفي في خوضه الغزوات في كل عام ، وهو ذو عزيمة لينال المال والمجد وليقرب نساءه بعد أن انقطع عنهن لانشغاله في الغزوات، فقال:

وفي كلّ عَامٍ أنت جَاشمُ غزوةٍ تشــدّ لأقصَاها عَزيمَ عَزائِكا
مورّثةً مالا وفي الذكر رفعةً لَما ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُروءِ نِسَائكا [٢]

وممّا ساقه الطبري قول الأعشى وهو يرسم صورة يمدح بها إياس بن قبيصة فهو يكثر العبوس ويكشف عن أنيابه[٣]، وهذه الصورة كشف عن طياتها الأعشى في ذلك الوقت، وبقيت ملازمة لمظهر الشجاعة حتى عصرنا الحاضر فقال:

وَلَهُ المُقدَّمُ لا مِثْلَ لهُ سَاعَةَ الشَّدقِ عَن النَّابِ كَلِح[٤]

---

(١) ديوانه: ٢٥ ، تفسير الطبري م١، ج١ : ٥٨ والبيت من الطويل.
(٢) ديوانه :١٦١ ، ووردت لفظة (الحمد) بدل (الذكر) تفسير الطبري : م٢، ج٢: ٥٩٠ والبيتان من الطويل.
(٣) ينظر : ديوان الاعشى :٥٠.
(٤) المصدر نفسه : ٥٢ ، تفسير الطبري : م١٠، ج١٨ :٧١ . والبيت من الرمل.

وكان للكرم واطعام الضيف أهمية كبرى في حياة العربي في العصر الجاهلي و وجدوا فيه سر خلودهم وبقاء ذكرهم على الألسن ، وممّا ذكره الطبري من بيت الخنساء التي يبدوا أنها كانت مدركة بمكانة هذه الصفة فقالت تمدح أخاها صخراً :

القَومُ أعلَمُ أنَّ جِفْــنَتَهُ تَغْدُو غَداةَ الرِّيحِ أو تَسَرِي[١]

بمعنى انه مطعام وان جفنته أي قصعته باذل فيها طعامه ليلاً ونهاراً.

وكان للأخلاق والشمائل الطيبة التي كانوا متحلين بها بنو بدر[٢] مدعاة في مدح حاتم الطائي[٣]، واصفًا إيّأهم بأنهم أولي مجلس في البيت الذي ذكره لنا الطبري:

فَدُعِيتُ فِي أولى النّدِي وَلَمْ يُنظَــر إلَيّ بِعَيْــنٍ خَــزْرِ[٤]

وفي السياق ذاته في مدح الأخلاق اتخذ زهير بن أبي سلمى صفة الكرم سببًا لمدح سنان بن الحارث ، فقال:

رَأيْتُ ذَوِي الحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُتِهم قَطِيـنًا لَــهُم حتى إذا أنْبَتَ البــقْلُ[٥]

أما الأعشى فوجد في عدل عامر بن الطُفيل صفة تستحق المدح فقال فيه:

لَا يَأخذ الرِّشوَةَ في حُكْمِهِ وَلَا يُبـالِي غَبْــنَ الخــاسرِ[٦]

---

(١) ديوانها: ٨١؛ ووردت لفظة (الحي يعلم) بدل (القوم اعلم) تفسير الطبري : ٥، ج٨: ١٦. والبيت من الكامل.
(٢) ينظر: ديوان حاتم الطائي: شرحه وقدم له أحمد رشاد ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م: ٢٦.
(٣) حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج (الشعر والشعراء: لابن قتيبة ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م: ١/٢٣٥).
(٤) ديوانه:٢٦؛ تفسير الطبري: م٩، ج١٦: ١٥١. والبيت من الكامل.
(٥) شرح ديوان زهير:٤٣؛ ووردت عبارة (بها حتى اذا انبث) بدل (لهم حتى اذا انبت)، تفسير الطبري: م١٠، ج١٨: ٢١. والبيت من الطويل.
(٦) ديوانه: ١١٤؛ تفسير الطبري: م٥، ج٧: ٢٠١.و البيت من السريع.

ومن الصفات التي كثر فيها المدح وكانت حاضرة عند بعض العرب هي الحلم وهي ((صفة تميز الرجال الذين تصغر في عيونهم الحوادث مهما جل شأنها وعظم خطرها وهو دليل على بلوغ الحلم في مدارج الإنسانية مرتبة عالية ، وعلى الرغم من اهتمام العرب بالقوة وشدة الباس واحتكامهم إلى السيف في أكثر الأحوال فأنهم كانوا يتصفون بالحلم ورجاحة العقل والابتعاد عن الحمق والطيش وسرعة الانفعال ولا ندعي القول أنّ جميع العرب يتصفون بالحلم ورجاحة العقل، إذ إن الذين اشتهروا به كانوا قلة وهذا شأن الحلماء عند جميع الأمم))[١]، وجاء الطبري بقول أوس بن حجر[٢] الذي انطلق من هذا المعنى مادحا نفسه وما تجود به من العفو والصفح والتسامح وغفران أخطاء الآخرين التي يعفو عنها بحلمه فقال :

ألا اعْتِبُ اِبْنَ العَمِّ اِنْ كَانَ جَاهِلًا وَاغْفِرُ عَنْهُ الجَهلَ اِنْ كَانَ اَجْهَلَا[٣]

وما تميز به الشعراء في هذا الغرض الاهتمام بالمقدمة التقليدية بل عدوها قضية جوهرية في بناء القصيدة ولقد التزم بها أغلب الشعراء وعدوها جزءًا من القصيدة وكانوا يجدون أن ((هذه المقدمة تمثل الجسر التقليدي الذي تمر من خلاله القصيدة وهي عادة تأخذ طريق الوقوف على الطلل أو الديار، ثم تسلية الهم بناقة قوية ويدخل احياناً لوحة الصيد ثم الانتقال إلى الممدوح وقد تفتقر هذه اللوحة على ذكر الحبيبة دون الديار والانتقال إلى الممدوح وتختزل عند بعض الشعراء إلى الاكتفاء بالغزل ثم الانتقال إلى

---

(١) الحلم في الشعر الجاهلي، د. عبدالرزاق خليفة محمود الدليمي ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، مجلة المورد الصادرة عن دار الشؤون الثقافية ، الاعظمية ،بغداد، العراق ٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ ، مجلد ٣١ ، العدد٣:٤٣.

(٢) اوس بن حجر بن عتاب بن عبدالله بن غدي بن نمير بن أسيد بن عمرو بن تميم (طبقات فحول الشعراء:٩٧/١).

(٣) ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح د . محمد يوسف نجم، الجامعة الامريكية ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م :٨٢ ، تفسير الطبري م١، ج١ :٣٩٨ والبيت من الطويل.

الممدوح ، وتمتاز قصائد الأعشى عن بقية قصائد الشعراء بطول المقدمة التي يقدم لها بموضوع المديح ، وقد تصل في بعض القصائد إلى سبعة وثلاثين بيتاً))[١].

وندرك ذلك بيقين ووضوح عند الأعشى في قصيدته في مدح هوذة بن علي الحنفي فقد ابتدأ القصيدة بذكر حبيبته وما تركته في النفس فقال :

بَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ فِي النّفسِ حَاجَتَها بَعدَ ائْتِلافٍ وخَيرُ الوُدِّ مَا نَفَعا[٢]

واستمر يحوك مقدمته الطللية إلى أن عرّج على ذكر الممدوح وذكر صفاته ومنها يسمع المشورة من سادات الرجال ولا ينفرد برأيه ، وهذا دل عليه البيت الذي استشهد به الطبري ، والذي انشده الأعشى قائلاً :

يَرْعَى إلى قَوْلِ سَادَاتِ الرِّجالِ إذا أبْدَوا لَهُ الحَزْمَ أو مَا شَاءَ ابْتَدَعَا[٣]

وفي هذا الغرض لم يحصر الشعراء مدائحهم في ممدوحيهم فحسب بل اتسع افق ذلك ليشمل المدح اقوامهم وما امتلكوه من صفات ومثل نبيلة ، والطبري ذكر قول النابغة الذبياني وهو يمدح عمرو بن الحارث الأصغر الذي نجد فيه أن الشاعر انتقل إلى مدح قومه وملوكهم وهو يصفهم ((انهم قوم عقلاء ذوو تجربة يعرفون مروق الدهر وتقلب الأيام فإذا أصابهم خيرٌ لم يبطروا؛ لأنهم يعرفون انه لا يدوم، وإذا أصابهم شر لم يداخلهم قنوط ليقينهم بأن الشر لا يدوم))[٤] ، وقد اختار لهم هذه الصفات فقال:

وَلَا يَحسَبُونَ الْخَيرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَربَةَ لَازِبِ[٥]

ولذلك احتضنت القبائل والأقوام الشعراء، ومـــن أهم هذه الاقــوام المناذرة الذين

---

(١) تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام : د. نوري حمودي القيسي ، د. عادل جاسم البياتي ، د. مصطفى عبداللطيف ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة بغداد ، كلية الآداب ، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٩هـ ـ١٩٧٩م:١٩٣.

(٢) ديوانه : ١٢٩؛ تفسير الطبري: م١: ج١: ٥٨. والبيت من البسيط.

(٣) ديوانه : ١٣٤ ، تفسير الطبري : م١، ج١ : ٦١٩ والبيت من البسيط.

(٤) ديوانه:٢١.

(٥) المصدر نفسه : ٢١ ، تفسير الطبري : م١٢، ج٢٣: ٥٥ والبيت من الطويل.

((كانوا يتخذون الشعر وسيلة للدعاية لهم في القبائل فكثر الشعراء حولهم وعلى الأخص في عهد عمرو بن هند فقد قصده كثيرون من أمثال المتلمس وطرفة))[١].

وبتتبُع البحث تبين أن المدح شكل الغرض الأكثر شيوعاً بعد الوصف في الأبيات التي رصدها الطبري في استعانته بالشعر وأن الشعراء في هذا الغرض قد زينوا ممدوحيهم بالصفات الكريمة والشمائل الطيبة وما عرف عند العرب مما وجدوه مكملاً لشخصية الإنسان العربي كالنسب الشريف والحسب الرفيع وما تحلى به العربي من الكرم وزعامة القبيلة والشجاعة في القتال وحسن التدبير وهلم جرا من الصفات والفضائل الطيبة .

ولم ينفرد المدح بشخص واحد بل تعدى المدح ليشمل قبائل واقوام برمتها وصب أعلى وأسمى مراتب ومعاني المدح على تلك القبائل لما لها من شأن ورفعة تميزها من قبائل آخر استحقت الذم من الشعراء بما جمعت من الرذائل والعيوب .

(١) ادب العرب في العصر الجاهلي:١٣٨.

٣. غرض الغزل:

من الفنون القديمة في الشعر العربي لأنه يرتبط منذ القدم بعلاقة الرجل بالمرأة وهو حديث بين الفتيان والفتيات، بينما يراه ابن سيده بأنه اللهو الذي يكون مع النساء[١]، وهو دافع لعاطفة ملأت النفوس كلها وهي الحب، فانسلخ من هذه العاطفة الغرض الشعري المشهور[٢]، ويراد به أيضًا ((الحديث عن جمال المرأة والتغني بمحاسنها ومفاتنها، ويغلب على شعر الغزل طابع الرقة والعذوبة))[٣].

وقد يدخل مع الغزل مصطلحان هما النسيب والتشبيب وقد تعددت أقوال اللغويين في هذه التسميات الثلاث وبآراء مختلفة منها :

١. إن الغزل هو الإحساس والشعور بحب المرأة وقيل إنّ المعنى جاء من مغازلة النساء أي محادثتهن، ورأي آخر هو أن الغزل من الأمور الجارية بين العاشق والمعشوق من الكلام وافعال من دون ان يبرز إلى الإشهار والإعلام به في الشعر.
٢. الغزل والنسيب هو مدح ما ظهر من أعضاء المحبوب وذكر ما كان بين المحبين من أيام الوصل والهجران[٤].
٣. أما ابن رشيق القيرواني فقد عد ((النسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد وأما الغزل فهو إلف النساء والميل إليهن والتخلق بما يوافقهن))[٥].

ويعد موضوع الغزل من أكثر الموضوعات قرباً إلى النفس البشرية وتستمال النفوس والعواطف إليه ولذلك وظف الشعراء الجاهليون هذا الغرض في مطالع قصائدهم ولما تميل إليه طباع الناس ويرى النقاد ((أن الاهتمام بالنص الشعري من

---

(١) ينظر: لسان العرب: م٦: ٦٢٠، مادة (غزل).
(٢) ينظر: دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي : ٢٩٩.
(٣) معجم المصطلحات الادبية : نواف النصار، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١: ٢٣٣.
(٤) ينظر: دراسات في الادب الجاهلي : ١٣٤ - ١٣٥.
(٥) العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ٦٥.

افتتاح بالنساء أو الاطلال ، أو رحلة الشاعر هو اهتمام بتلك الاقسام لذاتها لكونها تحدث الأثر المناسب في المتلقي وذلك اتباعاً لما الفته طباع الناس في الابتداء بالغزل وما يتصل به من ذكر الصدود والهجران والواشين والرقباء و وصف المفاوز وغيرها، أو لأنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور، وتشدهم إلى الإصغاء، لذا كانت المقدمة الطللية حسنة ومؤثرة في العصر الجاهلي، لأنها كانت معبرة بصدق عن مشاعر العربي))[١].

وبطبيعة الحال عشق الرجال النساء بغريزتهم وفطرتهم التي اوجدها الله تعالى في النفس، ولذا عمد الشاعر الجاهلي إلى ذكر ((شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق ليميل نحوه ويصرف إليه الوجوه ويستدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، والف النساء فليس احد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب وضارباً فيه بسهم حلال أو حرام))[٢].

ويري آخرون في افتتاح القصائد بالغزل أنها تشحذ قريحة الشاعر و تستنزل معاني القصيدة في البدء بالغزل ((إذ يهيئ نفسه ويعيش في جو عاطفي خالص ، حتى يصبح الغزل مفاتيح القول وملهم الشعراء ، سألوا الشاعر ذا الرمة كيف تفعل إذا انقفل دونك الشعر ؟ فقال: كيف ينقفل، وعندي مفاتيحه، قيل له : وعنهُ سألتك ما هو؟ قال : الخلوة بذكر الأحباب))[٣].

ورغم ما وصل الينا من شعر الغزل واهتمام الشعراء به واتخذوه المطلع ومفاتيح لقصائدهم، ولكننا عندما نتناوله بتأن ودقة نجد أن بذوره الأولى مجهولة عندنا ((ومن

(١) الشعر الجاهلي دراسة في تأويلاته النفسية والفنية : ٨٣.
(٢) الشعر والشعراء : ٧٦/١.
(٣) ادب العرب في عصر الجاهلية : ١٥١ -١٥٢.

الواضح أن ما بين ايدينا من الشعر الجاهلي إن هو إلا شعر الكائن في صور نضوجه الكامل، وإن المحاولات الأولى قد ضاعت ولم يبق لها أثر كما بينا فيما تقدم ، وعليه فإن ما وصل من أشعارهم وجدناها على ماهي عليه من التزام بقوانين تحتم على الشاعر الجاهلي التقيد بها وليس لنا بد من رد هذه القوالب والتقاليد إلى جهود المجهولين، والى الاجيال الغامضة الاوائل))[١].

ولصعوبة الحياة في الجزيرة العربية في تلك الحقبة وما اتسمت به حياة العربي بكثرة الترحال وبعدم استقرارهم في ديار وما تطلبته حياة البداوة في البحث عن الكلأ والماء، وما كان في هذا الترحال ومما أسفر من أجواء الذكريات والحنين وفراق الأحبة وبكاء الحبيبة القديمة بعد فراقها، والتي كانت عالقة في نفوسهم وراسخة في قلوبهم، ولذا ((أول صورة تلقانا في قصائدهم هي بكاء الديار القديمة التي رحلوا عنها وتركوا فيها ذكريات شبابهم الأولى وهو بكاء يفيض بالحنين الرائع))[٢].

ولهذا بدأت معظم قصائد الشعراء بالمقدمة الطللية في الحديث عن ديار الأحبة الراحلين عنها التي تغيرت فيها المعالم ودرست الآثار فيها بعد رحيلهم عنها وسرح الشاعر بفكره في آثار الحياة القديمة حينما كانت عامرة بأهلها مسترجعا الذكريات مع أيام الحبيبة التي طوتها الرمال ومتذكراً أيام شبابه في هذه المنازل حينما كانت تدب فيها الحياة واصفاً جمالها ومصوراً الحب والعواطف والآمه، وتلعب بخياله قافلة الضغائن وهي تسير إلى المنازل الجديدة[٣]، وتعد المقدمة الطللية عند امرئ القيس في معلقته أشهر المقدمات:

وقُوفًا بِهَا صَحبِي عَلَيّ مَطِـيّهُم يَقولُونَ لَا تَهْلَك اسًى وَتَجَـــمَّلِ[٤]

---

(١) أحلى اشعار الغزل العربية :١٢.
(٢) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) :٢١٢.
(٣) ينظر: دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي : ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .
(٤) ديوانه:٩؛ تفسير الطبري: م٤، ج٦: ٢٤١. والبيت من الطويل.

وَاِنَّ شِفَائِيَ عَبْرَةٌ مِــهْرَاقــــةٌ فَــهَلْ عِندَ رَسْــمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعْوَلِ

كَدأبكِ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَــهَا وَجَــــــــارَتِهَا أُمّ الرَّبابِ بِمأسلِ[١]

وافتتح قسم آخر من الشعراء قصائدهم بالمقدمة الغزلية لأن ((القلب مصدر العاطفة ولغة العاطفة الغزل ، وصوروا فيه أشواقهم وإحساساتهم نحو المرأة وما يلقون من وصال أو هجر من وعد واخلاف يشوبه الذل والغنج، واستطاع الشعراء أن يرضوا نزعاتهم الفنية بتحبير القصائد الغزلية الرائعة التي افتتحوها بالغزل لشدة شغفهم به))[٢].

وتعد لاميّة الأعشى التي اختارها بعض الرواة أنموذجاً رائعاً للمقدمة الغزلية في القصيدة الجاهلية ومن بين القصائد العشر المعروفة بالمعلقات التي صور الشاعر فيها عشيقته وأوصافها[٣] بأنواع من الوصف ومنها جمال مشيتها فقال:

كَأنّ مِشيَتَهَا مِن بَيْــــتِ جَارَتَها مَــــــور السَّحابَةِ لا رَيْثٌ وَلا عَــجَلُ[٤]

وإن من السمات التي تميز بها الغزل في العصر الجاهلي الوصف المادي الذي يدور حول المحاسن الظاهرة من المرأة التي تحرك عواطف الجنس عند الشاعر الجاهلي وما فيها ،من مكامن الجمال ، فهذا المثقب العبدي يتغزل بعنق حبيبته الذي خفي عن الناس فقال:

أَرَيْنَ مَحاسِناً وَكَنَنَّ آخرى مِنَ الاجيَادِ وَالبَشَرِ المَصُونِ[٥]

والطبري استشهد في معنى التريب في بيت المثقب العبدي والذي لم يقف فيه غزل

---

(١) ديوانه:٩، وقد وردت لفظة (عبرة ان سفحتها) بدل لفظة (عبرة مهراقة) ولفظة (كدينك) بدل (كدأبك)، تفسير الطبري: م٣، ج٣ : ٢٤٧، والبيتان من الطويل.

(٢) أدب العرب في عصر الجاهلية:١٥١ وينظر الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: ١٦٥.

(٣) ينظر: دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي: ٢٣٦.

(٤) ديوانه: ١٧٤ ، واورد لفظة (مر) بدل (مور)؛ تفسير الطبري : م١٣، ج٢٧ : ٢٧ والبيت من البسيط .

(٥) شعره: ٣٣. والبيت من الوافر.

الشاعر عند عنق المرأة فحسب بل راح يتغزل بعظام صدرها التي تعرف بالتريب وكذلك بجسدها الناعم الذي يعرف بالغصون[١] فقال:

وَمِنْ ذَهَبٍ يُسَنُّ عَلى تَرِيْبٍ كَلَونِ العَاجِ لَيسَ بِذِي غصونِ[٢]

وفي السياق ذاته يذكر الطبري قول امرئ القيس وهو يتغزل ببياض الثغر، والأضراس، والرقة، والنعومة عند محبوبته التي أخذت بفكره وفؤاده حتى أنسته قميصه فقال:

وَمِثْلُكِ بَيْضَاء العَوارِضِ طَفلَة لَعُوبٍ تُنْسِينِي إذا قُمتُ سربالي[٣]

بينما اخْتَار الأعشى نحر معشوقته وما يمتلك من تأثير في النفوس إلى مرحلة أنه يحيي الميت ويعود إلى الحياة ولا يذهب به إلى القبر، إذا اتكأ على ذلك النحر، فقال في البيت الذي ذكره الطبري في تفسيره:

لَو أسْنَدتْ مَيْتًا إلى نحْرِها عَاشَ ولَـمْ يُنْقَل إلى قَابِرِ[٤]

وفي المقابل العناية بالنواحي الجسمية نجد شعراء عنوا بالجوانب النفسية والخلقية وذكروا المرأة وما فيها من حياء وعفة[٥]، ومن الأبيات التي استشهد بها الطبري من مقطوعات الشعر الجاهلي نجد أن مِن الشعراء الجاهليين مَنْ جمع بين الغزل العذري والغزل الحسي في شعره، فراح يتغزل بمحاسن الاخلاق عند المرأة وبعدها عن الفحش ثم ينتقل في ذات البيت إلى الجوانب الجسمية عند المرأة ، ولبيد بن ربيعة صاغ بيتًا ضمن هذا المضمون في شعره فهو يصور المرأة في هودجها متزينة بصفة العروب بمعنى أنها حسنة التبعل، وبعيدة عن الفحش ثم انتقل في عجز البيت إلى الجانب

---

(١) ينظر: شعره: ٣٣، وينظر المفضليات : ٢٨٩ .
(٢) شعره: ٣٢، ورد في الديوان لفظة (يلوح) بدل (يسن) تفسير الطبري : م ١٥، ج٣٠: ١٨٢ والبيت من الوافر.
(٣) ديوانه: ٣٠ ، تفسير الطبري : م٨، ج١٣ : ٣١٨ ، وذكر الطبري عجز البيت فقط والبيت من الطويل.
(٤) ديوانه:١١٣؛ تفسير الطبري: م١٥، ج٣٠: ٧١. والبيت من السريع.
(٥) ينظر: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه : ١٧٢ ـ ١٧٣ ، وينظر ادب العرب في عصر الجاهلية : ١٥٣ .

الجسدي وهويصفها بانها ضخمة العجيزة التي تسمى بريا الروادف التي اتعبت البصر من جمالها فقال:-

وَفِي الخُدُوجِ عَرُوبٌ غَيرُ فَاحِشَةٍ رَيَّا الرَوَادِفِ يَغْشَى دُونَهَا البَصَرُ(١)

ومن الشعراء من لم يصرف همه إلى محاسن المرأة ولا إلى الجوانب الخلقية إنما راح يصور ما يعانيه من ألم بسبب فراق الحبيبة وشوقه إليها، وقد ذكر الطبري الأعشى الذي يعد خير مثال تصويري لهذا الضرب من الغزل وهو يصور نفسه بالومق أي المحب العاشق وأنه لا يشفى حتى يكون بالقرب من محبوبته وينال ما يريد منها فقال:

لَا شَيءَ يَنفَعُنِي مِنْ دُونِ رُؤيَتِهَا هَلْ يَشْتَفِي وَامِقٌ مَا لَمْ يُصِبْ رَهَقَا(٢)

وكذلك ساق الطبري قول النابغة الذبياني الذي يصرح بما خلفته معشوقته سعاد في قلبه بعد رحيلها عنه اذ قال:

نَأتْ بِسُعاد عَنْكَ نَوًى شَطُونُ فَبَانَتْ وَالفُـــؤادُ بِهَا رَهِـينُ(٣)

وفي ذات السياق ساق الطبري شاهدين من الشواهد الشعرية وكلاهما للأعشى يصوران حال نأي المحبوب وبعده عنه فقال:

بَانَتْ وَقَدْ أسْأرَتْ فِي النّفسِ حَاجَتَها بَعدَ ائْتِلافٍ وخَيرُ الوُدِّ مَا نَفَعا(٤)

وقوله:

---

(١) شرح ديوان لبيد : ٦١ ، تفسير الطبري : م ١٣، ج٢٧ :٢٢٩ والبيت من البسيط .
(٢) ديوانه : ١٥١ ، تفسير الطبري : م١٤، ج٢٩ : ١٣٣ والبيت من البسيط
(٣) ديوانه: ١٣٠ ، تفسير الطبري : م ١، ج١ : ٦٢ والبيت من الوافر .
(٤) ديوانه : ١٢٩؛ تفسير الطبري: م١: ج١: ٥٨. والبيت من البسيط.

بَانَتْ وَقَدْ أَوْرَثَتْ فِي الفُؤا دِ صَدْعًا عَلى نأيِها مُسْتَطِيرًا[١]

وتغنى بقصائدهم الغزلية ((فريق من الشعراء عن قصص حبهم وما يسقاه المحب من كؤوس الصد والهجر عند كثير منهم وخاصة فرسانهم من مثل عنترة[٢]،إنهم يقدمون في مغامراتهم، ومعاركهم العنيفة في الحرب لينالوا حب الحبيبة المصونة ، كل ذلك نحسه في شعر صادق أصيل تصونه المثل العليا وتحوطه القيم الجاهلية من النبل والمروءة والشرف))[٣] .

فكانت هناك مقطوعات تتحدث عن الفروسية في القتال، والحب، والتغزّل بالحبيبة، وهذا اللون انفرد به عنترة، إذ جمع بين الغزل والفروسية في معلقته[٤] فبدأها بمخاطبة الديار وهو يقول:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَراءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ أمْ هَـــلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ[٥]

واستمر في حديثه عن ديار الأحبة وقد أبان له انتهاء مدة الكلأ والعشب عن قرب رحيلهم فقال:

مَا رَاعَنِي اِلّا حُمُولَةُ أَهْلِهَا وَسْطَ الدِّيَارِ تَسُفُ حَبَّ الخِمْخِمِ[٦]

ثم تراه قد انتقل ليجمع بين الغزل والحرب فقال:

---

(١) ديوانه: ١٠٧؛ تفسير الطبري: م١٤، ج٢٩: ٢٥٤، والبيت من المتقارب.
(٢) عنترة بن شداد بن قراد بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس (طبقات فحول الشعراء : ١٥٢/١).
(٣) أدب العرب في عصر الجاهلية : ١٥٤.
(٤) ينظر: دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي: ٢٣٦.
(٥) ديوانه: مجلس معارف ولاية بيروت ، بنفقة خليل الخوري ، مطبعة الادب ، بيروت ، ط٤، ١٨٩٣م: ٨٠ ؛ تفسير الطبري : م٩، ج١٦ : ٣٨ ، والبيت من الكامل.
(٦) ديوانه : ٨٠ ، تفسير الطبري: م ، ٧ ج١٢ : ٩٧ ، البيت من الكامل.

هَلَّا سَألتِ الخَيلَ يَا ابنَةَ مَالِكٍ إنْ كُنْتِ جَاهِـــلةً بِمَا لَمْ تَعلَمي[1]

وبعدما أجريته من دراسة واستقصاء للأشعار في هذا الغرض في تفسير الطبري تبين أن الشعر في هذا الغرض جاء بصور شتى منها الحفاظ وصون الحب بين الرجل والمرأة من الاشهار والفضيحة أمام الناس، وتصوير ما كان من شغف وحب بين العاشق والمعشوق ، وما دار من أحاديث الهوى بينهما، و وصف المحبوبة والتغزل بجسدها ومحاسنها ، و صور هجر المحبوبة وقطع صلتها بالمحبوب وما خلفه ذلك الهجر من أثر في نفسه.

(١) ديوانه: ٨٢ ، تفسير الطبري : م١، ج١ : ١٥٨ ، البيت من الكامل.

٤. غرض الحكمة:

الحكمة: صفةٌ امتلكها بعض الناس لِما مرّوا به من تجارب في الحياة ((ويقال للرجل إذا كان حكيمًا قد أحكمته التجارب، والحكيم المتقن للأمور))[١]، وهي ((معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ويقال لمن أحسن الصناعات حكيم ، وشعر الحكمة يعني ذلك الشعر الذي قاله الشعراء معبرين عن تجاربهم التي مروا بها))[٢].

وتعد الثمرة التي ينالها الإنسان بعد خوضه غمار الحياة بتجاربه واطلاعه على تجارب الآخرين وبإغماده على خبرة الناس الآخرين ومصير حياتهم، والحكمة أيضًا ((هي احساس دقيق بكل من تتفتق به الحياة من ولادة أفكار تزهر وتعقد وتثمر على هذه الأرض التي ولد منها الإنسان وهي تأخذ زخماً في النمو والعطاء من إبداع الناس وحسن فهمه لأسرار الوجود))[٣]، فقد ضمّن الشعراء الجاهليون في أشعارهم الكثير من المضامين والأفكار والرؤى التي زخرت بالحكم والمواعظ جاءت بعد فهمهم الثاقب والدقيق لجوهر الحياة، وما يمكن أن يكون في صالح الإنسان ليبقى ذكره ويخلد، وصاغوا من حكمته أنموذجاً رائعاً من القيم الأخلاق من نهر العذب الأبناء من أجيالهم وتستلهم من عذبته الأمم الأخرى.

ولو تمعنا في أشعار الحكمة لوجدنا أنها لا تخص زمنًا أو مجتمعًا معينًا ولو ((تأملنا حكمة جاهلية نجدها تصلح لكل العصور، كذلك إذا تأملنا حكمة أجنبية نجدها تنطبق على كل المجتمعات، ذلك لان الهدف منها انساني يضرب الأمثال وينبه الإنسان وينير له طريقه ويدل على ما فيه صلاح نفسه))[٤].

---

(١) لسان العرب: م٢ :٥٤١، مادة (حكم).
(٢) الأدب الجاهلي : د. سامي يوسف أبو زيد، د. منذر ذيب كفافي، دار الميسرة للنشر والتوزيع ، عمان، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م: ١٠٨.
(٣) أدب العرب في عصر الجاهلية:١٦٠.
(٤) الحكمة في الشعر العربي : سراج الدين محمد دار الراتب الجامعية ، بيروت، لبنان: ٥.

وكان لتجارب الحياة أثرها الفعال في إغناء الشعراء الجاهليين بمفاهيم ورؤى وأفكار صاغوها شعراً نستلهم منه العبرة والموعظة، وممن أغنت به الحياة امرؤ القيس، لأن بعض الأمور وبعض الناس توجب أن تعاملها بالمثل، فهو ينص في تعامله مع الأعداء أنهم ان أظهروا الحقد فهو لا يخفيه وإن أشعلوا الحرب فهو لا يقعد، بل سيقاتل فقال:

فَأنْ تَكْتُموا الدَّاءَ لَا تُخْفِهِ وَإِنْ تَبْعَثُوا الحَرْبِ لَا نَقْعُدِ(١)

والإخفاء في البيت بمعنى الإظهار، ودريد بن الصمة(٢) يجد أنّ الكرم لا يضر بالإنسان وأنّ ليس هناك كريم مات من الجوع، أو أن بخيلاً ابقاه بخله وخلده فقال:

ذَرِيْنِي أُطَوِّفُ فِي البِلَادِ لِأنّنِي اَرَى مَا تَرَينَ أو بَخِيلاً مُخَلّدا(٣)

بينما صاغ الشماخ بن ضرار(٤) درسًا من دروس الحكمة في الحياة وهو أن يقوم الإنسان على حفظ أمواله وصونها أفضل من أن يبذر ماله وثروته ثم يسأل الناس فقال:

لَمالُ المَرْءِ يُصْلِحَهُ فَيَغْنى مُفاقَرةً أعَفَّ من القَنُوع(٥)

والمفاقرة جمع فقر، والقنوع هو السؤال والتذلل للناس(٦).

ومن موارد الحكمة أن يضع الإنسان كلامه عند من يجد أنه يترك الأثر والوقع فيه، وهذا المعنى أشار إليه لبيد في قوله:

---

(١) ديوانه: : ١٨٦ ، ووردت عبارة (فأن تدفنوا) بدل (فإن تكتموا)، تفسير الطبري م٨، ج١٣: ١٥٥ ، والبيت من المتقارب.

(٢) دريد بن الصمة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان (الشعر والشعراء ٧٣٧/٢).

(٣) ديوانه: تحقيق د. عمر عبد الرسول ، دار المعارف ، كورنيش النيل ، القاهرة : ج. م . ع :١٨٨ ، وفي الديوان لفظة (أريني جواداً مات هزلاً) بدل (ذريني أطوف في البلاد)، تفسير الطبري :م٥، ج٧ :٣٨٩ ، والبيت من الطويل.

(٤) الشماخ بن ضرار بن سنان بن أمامه، أحدُ بني سعدِ بن ذبيان، (طبقات فحول الشعراء:١٢٣/١).

(٥) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، حققه وشرحه صلاح الدين الهادي، طبع دار المعارف، القاهرة، ج.م.ع:٢٢١؛ تفسير الطبري: م١٠، ج١٧: ٢١٤. والبيت من الكامل.

(٦) ينظر: ديوان الشماخ بن ضرار: ٢٢١-٢٢٢، ولسان العرب: م٧: ٤٢٥، مادة (قنع).

سَفَهًا عَذَلتِ وَلُمْتِ غَيْرَ مُلمٍ وَهَداكَ قَبْـلَ اليَـوْمِ غَيْرَ حَكِيمِ[١]

والمعنى أن الجهل منك أن تلومَ الإنسان الذي لا يستحق اللوم وفعلكُ ليس من فعل الحكيم[٢].

ولم ينسَ الشعراء الجاهليون الحكمة في استحالة البقاء والخلود للإنسان، وكان رحيل واندثار الأمم السالفة من أنضج الحكم التي استنبطها ووعاها الشعراء وصاغوها أشعارًا تنبض بالحكمة، والطبري في تفسيره إبان العديد من المقطوعات الشعرية الجاهلية التي تخاطبنا وترشدنا إلى موطن وينأبيع الحكمة، ومن ذلك قول الأعشى وهو يشير إلى التأسي والخوف من زوال النعم كما حل بقوم مأرب في اليمن بعد أن أرسل الله عليهم سيل العرم فقال:

فَفِي ذَاكَ لِلْمؤتسِي أُسْوَةٌ وَمَأرِبٌ عَفّى عَلَيْهَا العَرِمْ

رُخَـامٌ بَنَتهُ لَهُمْ حِمْـيرٌ إذا جَـاءَهُ مَاؤهُـم لَمْ يَرِمْ[٣]

وعلى غرار قول الأعشى ذكر الطبري قول لبيد بن ربيعة وهو يشير إلى القبائل التي مضت ومنها قبيلتي عاد وحمير فقال:

نَحُلُّ بِلاداً كُلُّهَا حلّ قَبْلَنَـا وَنرجُوا الفَلاحَ بَعْدَ عَادٍ وَحِمْيَرٍ[٤]

وفي بيت ساقه الطبري في ذات المعنى أشار لبيد إلى بيان مقدرة الله (سبحانه وتعالى) واهلاكه العباد فقال:

وَاَهْلَكنَ يَوْمًا رَبَّ كِندَةَ وابْنهُ وَرَبَّ مَعْدِ بنَ خبتٍ وَعَرْعَرِ[٥]

ورب كندة هو والد امرئ القيس ورب معد حذيفة بن زيد[٦].

---

(١) شرح ديوان لبيد: ١٠٧، ووردت لفظة (وقلت) بدل (ولمت)، وعبارة (بكاك قدما غير حكيم) بدل (وهداك قبل اليوم غير حكيم)؛ تفسير الطبري: م١٢، ج٢٣: ١٢٢. والبيت من الكامل.
(٢) ينظر: شرح ديوان لبيد: ١٠٧.
(٣) ديوانه:٢٢٦، وردت لفظة (قفى) بدل (عفى)؛ تفسير الطبري: م١٢، ج٢٢ :٩٧ ، والبيتان من المتقارب.
(٤) شرح ديوان لبيد:١٧٧؛ تفسير الطبري: م١٢، ج٢٣: ١٤١ .والبيت من الطويل.
(٥) شرح ديوان لبيد : ٥٥، تفسير الطبري م١، ج١ : ٧٩. والبيت من الطويل.
(٦) ينظر: شرح ديوان لبيد : ٥٥.

جانب آخر تنأوله الشعراء في ميدان الحكمة وهو حال الإنسان وما سيؤول إليه من الكبر والضعف والطبري أورد بيت امرئ القيس وهو يشبه الإنسان بالبكر وهو الصغير من الابل وقد اصابه المرض[١] فقال:

أرَى الْمَرءَ ذَا الاَذْوَادِ يُصْبِحُ مُحْرضاً كإحرَاضِ بِكْرٍ فِي الدِّيارِ مَرِيضِ[٢]

وتشبيه الإنسان بالعصفور تعبير عن ضعفه و وهنه هذا المضمون جاء في بيت ذكره الطبري وهو من أبيات لبيد بن ربيعة الذي قال فيه:

فإنْ تَسْألينَا فِيْمَ نَحْنُ فَأنَنا عَصَافِيْرُ مِنْ هَذا الأَنَامِ المُسَحَّر[٣]

ويبدو أنّ طول العمر واجتياح الأمراض جعلا الشاعر لبيد بن ربيعة يسأم ويمل منهما، إذ فقال:

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنْ الحَياةِ وَطُولِهَا وَسُؤالِ هَذا النَّاسِ كَيفَ لَبيدِ؟[٤]

وبعد كبر عمر الإنسان وضعفه يأتي المصير الحتمي إليه وهو الموت هذه الحقيقة الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل وتلك سنة الله في الوجود وقضية الموت جاءت عند الشعراء الجاهليين في أبيات من الحكمة وفي الغالب تكون ممزوجة بالرثاء والطبري ساق قول طرفة بن العبد وهو يشير إلى موت الإنسان وأن أمواله ستكون بيد غيره:

أرَى المَوتَ يَعْتامُ الُّنفوسَ وَيصْطَفِي عَقيْـــلَةَ مَـالِ البَـــاخِلِ المُتَشددِ[٥]

وفي الموضوع ذاته ذكر الطبري قول عبيد بن الابرص[٦]، وهو يبين أن كل غائب يمكن عودته إلا من غيبة الموت:

---

(١) ينظر: ديوان امرئ القيس : ٧٧..
(٢) المصدر نفسه : ٧٧ ، تفسير الطبري : م٨، ج١٣ : ٥٥ والبيت من الطويل.
(٣) شرح ديوان لبيد : ٥٦، تفسير الطبري: م٩، ج١٥ : ١٢٠ والبيت من الطويل.
(٤) شرح ديوان لبيد : ٣٥ ، تفسير الطبري: م٣، ج٣ : ١٦٩ والبيت من الكامل.
(٥) ديوانه: : ٢٦ ، وردت لفظة (يعتام الكرام) بدل (يعام النفوس) ولفظه (الفاحش) بدل (الباخل) ، تفسير الطبري: م ١٥، ج٣٠ : ٣٥٣ ، والبيت من الطويل.
(٦) عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر بن مالك بن زهير (الشعر والشعراء:٢٥٩/١).

وَكُلُّ ذِيْ غَيبَةٍ يَؤُوبُ وغَائِبُ المَوتِ لايَؤوبُ[١]

بينما يبين طرفة أن الموت يحلّ بكل انسان وهو كحبل يطوّل إلى الدابة لكي ترعي فيه وأن طرفهُ بيد صاحبه[٢] فقال:

لَعَمرُكَ إنّ الموتَ مَا أنسَأَ الفتَى لَكَالطُولِ المُرْخَى وَثُنَايَاهُ بِاليَدِ[٣]

أما عَدِيّ بنَ زيد[٤] فيرى أن الموتَ لا يعلمهُ إلا الله وقد يأتيه اليوم أو في صباح الغد فقال:

أَعَاذِلُ مَا يُدريكِ أنّ مَنيَّتي إلى سَاعَةٍ فِي اليَومِ أو في ضُحَى الغَدِ[٥]

وبعد قراءتنا ما تركه شعراء الحكمة من إرث حضاري خالد مع مرور الزمن نجد ((الحكمة إنها تلخص تجربة الشاعر ونظرته إلى الحياة وقد جاءت بعامتها بأسلوب واضح سهل بعيد عن الغريب والتكلف وقد تغلب على الحكمة مسحة من الحزن والعاطفة التي يشيع فيها الالم والحسرة والتشاؤم))[٦].

وتبين من خلال ما تقدم ذكره أن الحكمة تظهر من خلال مواقف تمر في حياة الإنسان في أثناء ارتباطه بغيره كالصفح، والعفو، والوعظ، فتترسخ في ذهن الشاعر أفكاراً، ولما كان الشاعر مرهفًا على وفق الأمور صاغ تلك الأفكار بألفاظ تدل على

---

(١) ديوانه: شرحه وضبط نصوصه وقدم له د. عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان:١٣؛ تفسير الطبري: م٩، ج١٥: ٩٢. والبيت من مخلّع البسيط .

(٢) ينظر: ديوان طرفة بن العبد: ٢٦.

(٣) المصدر نفسه: الصفحة نفسها، ووردت لفظة (ما أخطأ) بدل (ما أنسأ)؛ تفسير الطبري: م١، ج١ : ٦٢٧. والبيت من الطويل .

(٤) عدي بن زيد بن حمار بن زيد بن أيوب أحد بني أمرئ القيس بن زيد مناه بن تميم (طبقات فحول الشعراء:١٣٧/١).

(٥) ديوان عدي بن زيد، حققه وجمعه محمد جبار المعيبد، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٣٨٥هـ ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م: ١٠٣، ووردت لفظة (ألا تظنا) بدل (ان منيتي) ؛ تفسير الطبري: م ٥، ج ٧ : ٣٨٩ . والبيت من الطويل.

(٦) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه : ٣٠٠.

معان تؤثر في السامع وتنسجم مع الحياة اليسيرة التي كان يعيشها المجتمع الجاهلي ، وعليه جاءت تلك الألفاظ سهلة واضحة في اغلب أشعار الحكمة.

وبعد الإلمام بما جاء من شعر الحكمة في التفسير أدركت أن الشعر في هذا الغرض انبث في ضروب من المضامين والعبر السامية وكان من أبرزها :

١. الدعوة إلى عبادة الرب وطاعته، والتأسى بأخذ العبرة والعضة بما حل بالأمم والأقوام السالفة .
٢. ضرب من حسن تصرف الإنسان وأدبه ولياقته بالقول والفعل .
٣. بيان مدى ضعف الإنسان وما يؤول إليه عند كبر عمره وعصف الأمراض والعلل به .
٤. لم يغفل الشعراء عن ذكر اكبر العظات والعبر للإنسان وهو الموت وبينوا أنه يأتي بالوقت الذي قدره الله (سبحانه وتعالى) وأنه يدرك الإنسان بأي حال أو مكان يرتضيه الله (سبحانه وتعالى) .

٥. غرض الفخر:

لقد أثرت الحياة البدوية على الشاعر في العصر الجاهلي وكان لقسوة الحياة في ذلك العصر انعكاس على نفس الشاعر التي امتلأت شجاعة وصلابة حتى انفجرت غرضاً شعرياً هو الفخر الذي هو فن ((ادعاء العظم والكبر والشرف))[١] ، ولو تمعنا في شخصية الإنسان العربي نجد أنّهُ ((ذو انفة بطبيعته لذلك كثر شعر الفخر على لسانه، وقد كانت الصحراء العربية خير بيئة لظهور فن الفخر لما تشهده من صراع مستمر بين الإنسان والطبيعة ، وبين الإنسان وغيره من الناس))[٢].

وأن الحياة الصحراوية في الجزيرة العربية كانت ((حافلة دائماً بالمخاطر والحروب وبكل مظاهر القوة والعنف والبطولة يتجلى فيها التنازع من أجل البقاء في كل صورة كما وان المجتمع الصحراوي يقوم على العصبيات القبلية مما يجعل الكثير من القبائل تقيم تحالفات وتشارك في الحروب وبالتالي تنطلق السنة الشعراء لتمجيد البطولة ولتعزيز المواقف القبلية))[٣].

وفي دراستي الأبيات في هذا الغرض التي أوردها الطبري في تفسيره وجدت أنْ قد ((اقتربت معاني الفخر والحماسة، فكادا أن يكونا بمثابة الفن الواحد يتعذر فصلهما لما بينهما من اتصال وامتزاج وثيق ، فقد وجدا توأمين متلازمين فلا فخر بدون حماسة وكذلك الحماسة هي فخر بعينه ، وهما من أهم موضوعات الشعر العربي الرئيسة التي شغلت جزءًا كبيرًا من شعر الشعراء على مر العصور))[٤].

وبهذا يتبين أن الفخر يعني ((أن يمدح الشاعر قبيلته ونفسه فيذكر مأثرها ومكانتها الرفيعة بين القبائل، كما يفتخر بعراقة أصلها وطيب نحارتها وماضيها التليد وما خلفه

---

(١) لسان العرب: م٧: ٣٩، مادة (فخم) .
(٢) الفخر في الشعر العربي ، اعداد سراج الدين محمد ، دار الراتب الجامعية ، بيروت ـ لبنان : ٦.
(٣) المصدر نفسه : ٦ .
(٤) الشعر في تاريخ الطبري، دراسة موضوعية فنية ، موفق أسعد العنبكي، رسالة دكتوراه اجازتها كلية الآداب، الجامعة المستنصرية بإشراف د. سنية احمد الجبوري ، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧ م :٨٢.

أجدادها لها من محامد ومفآخر))[١].

والبعض لم يجعل معاني هذا الغرض قريبة من الحماسة فقط بل عُدّ الفخر ((ضربٌ من الحماسة وهو التغني بالفضائل والمثل العليا والتباهي بالسجايا النفسية والصفات القومية والزهو بالفعال الطيبة وألذ احاديث المرء عنده هو حديثه عن نفسه وخصاله وفعاله عن الشجاعة والكرم والمروءة وحماية الجار وطيب المنبت وعراقة الأصل وكثرة المال والولد إلى غير ذلك مما يزهو الإنسان ويختار به على غيره))[٢].

ومن الطبيعي أن لكل مجتمع قيمًا يعتز بها وكلما تغير المجتمع تبعاً لظروف وأطوار الحضارة تعرضت هذه القيم للتغير أو الانزياح إلى قيمة آخري تعد الأولى في سلم الأهمية، وتعد الشجاعة من أهم القيم التي كان الجاهليون يعتزون بها بسبب طبيعة المجتمع الصحراوي الذي كانت تحمله القوة وبتطوير المجتمع العربي ضعفت الشجاعة بوصفها قيمة، حتى لا نجد شاعرًا عربيًا يتفاخر بالقوة البدنية في مواجهة الأعداء وبعد أن كان التفاخر بالشجاعة والفروسية صوراً متفاوتة من شاعر إلى آخر، ولقد شغلت ساحة الحرب أذهان الشعراء الجاهليين في مواقفهم بها، وبطبيعة الحال فأن الشجاع لا يخشى ساحة الحرب ويريد أن يظهر شجاعته وصلابته بها، أما الجبان فيتطلع إلى الفرصة المناسبة للفرار، والطبري ساق قول عنترة بن شداد في هذا المضمون إذ يبين الشاعر بأن الموت يأتيه بوقته ولا ينجيه الفرار فصبر لذلك ، بينما يفكر الجبان بالهرب فقال:

فَصَبرتُ نَفساً عِنْدَ ذَلكَ حُرَة تَرْسُو إذا نَفْسُ الجَبَانِ تَطَّلَعُ[٣]

---

(١) دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي : ١٨٧. .

(٢) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه : ١٨٤ ـ ١٨٥.

(٣) ديوانه: ٤٩ ، وقد وردت لفظة (عارفة لذلك) بدل (نفسًا عند ذلك)؛ تفسير الطبري : م٧، ج١٢ : ٥٧ والبيت من الكامل .

وليس هذا فحسب، بل إنّ عنترة يذكر صورة أخرى لفخره بشجاعته في القتال تتمثل في وصفه يكرُّ على عدوّهِ ولا ينهزمُ وإن نزل العدو بأي موقعة نزل معه فقال:

إنْ يَلحقُوا أَكْرُرْ وإنْ يَستلحمُوا أشْدُدْ وإنْ ينْزِلُوا ضَنْكًا أنزلِ[١]

وفي صورة أخرى يفخرُ عنترة بأنه قتل زوج امرأة جميلة استغنت عن التجميل بجمالها، وقد جعل زوجها مقتولا، مشبهًا إيّاهُ بالبعير الذي شُقّت شفته العليا[٢] فقال:

وَحَلِيلُ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَنْدَلاً تَمْكُو فَرِيصَتَهُ كَشِدقِ الأَعْلَمِ[٣]

أما الفخر عند أبي ذؤيب الهذلي فقد أخذ بعداً آخر فهو يفتخر بنفسه وتحمله للشدائد وكأنه حجر صلب يمر عليه الناس كل يوم فقال:

حَتَّى كَأنّي لِلْحَوادِثِ مَرْوَة بِصَفَا المَشْرِقِ كُلَّ يَوْمٍ تَقْرِعُ[٤]

ولو غادرنا الفخر الفردي إلى الفخر الجماعي لوجدنا أن هذا النوع من الفخر كان له حضوره الكبير في الشعر الجاهلي، ولقد أخذ هذا اللون من الفخر ذروته في أروع صورة ((فيها غلو ومجاوزة حدود المعقول فقد أخذت العصبية عمرو بن كلثوم التغلبي فجعل الناس خولاً لقبيلته وعبيدًا لقومه، وبلغ به الغرور كل مبلغ))[٥]، وبان هذا بوضوح في معلقته التي بلغ عدد أبياتها مائة واربعة، وأورد الطبري قوله وهو يخاطب أبا هند[٦]، مفتخراً ومتحمسًا أنه سوف يعلمهُ بعلوه وشرف قومه فقال:

---

(١) ديوانه: ٦٨؛ تفسير الطبري: م٩، ج١٦ : ٢٨١. وقد أورد الطبري جملة ((وإن نزلوا بضنك أنزل)) فقط والبيت من الكامل.
(٢) ينظر: اروع ما قيل في الفخر ، د. يحيى الشامي ، دار الفكر العربي ، بيروت ـ لبنان :٢٨.
(٣) ديوانه: : ٨٢ ، تفسير الطبري : م٦، ج٩ :٢٩٩ والبيت من الكامل.
(٤) المفضليات : ٤٢٢ ، تفسير الطبري م٢، ج٢ : ٥٩ ، البيت من الكامل.
(٥) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه : ١٨٨.
(٦) عمرو بن المنذر الاكبر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي وهو اول ملوك الحيرة (ينظر شرح القصائد العشر، لأبي زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي (٤٢١ ـ ٥٠٢هـ)، حقق أصوله وضبط غرائبه وعلق على حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م:٣٩١).

اَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرنَا نُخَبَّرْكَ اليَقِيْنَا[١]

ويستمر عمرو بن كلثوم في فخره بقومه واصفاً أعدائهم بأنهم رجعوا بالغنائم بينما أسر هو وقومه الملوك بالقيود فقال:

فَآبُوا بِالنِهَابِ وَبِالسّبَايا وَأُبْنَا بِالمُلُوكِ مُصَفّدِيْنَا[٢]

ومثلما افتخر عمرو بن كلثوم بقومه الذين أتوا بالملوك مقيدين، يذكر الطبري قول المهلهل[٣] وهو يفتخر بقومه الذين أتوا بأعدائهم مأسورين وعلى رغم أنوفهم فقال:

فَجَاءُوا يُهْرَعُونَ وَهُم أُسَارَى نَقُوْدهُمُ عَلَـــى رَغْمِ الأُنُوفِ[٤]

إلى جانب الشجاعة فقد تصدرت خصلة الكرم مجالات الفخر في الجاهلية وكان الشعراء يحرصون على التزود بهذه الصفة هم وقبائلهم، وكان العرب ((تسعد نفوسهم بمساعدة المحتاجين وإطعام الجائع وإغاثة الملهوف وكان المال في نظرهم وسيلة لا غاية، وسيلة إلى الحياة الشريفة وإلى كسب المحامد))[٥].

ولذا كان الكرم عرفاً يفتخر به العرب في العصر الجاهلي وكانت صفة محبوبة بينهم ويتنافسون فيها وإن ((خصائص الطبيعة البشرية أنها شديدة التأثر بما يوحي العرف الاجتماعي إليها من قيم واعتبارات، فالإنسان يود أن يظهر بين الناس بالمظهر الذي يروق في أعينهم فإذا احترم الناس صفة معينة ترى الفرد يحأول شتى المحأولات للاتصاف بتلك الصفة والتباهي بها والتنافس عليها))[٦].

---

(١) ديوانه: : ٦٦ ، تفسير الطبري م١٣، ج٢٧ : ٢٧٦ والبيت من الوافر .
(٢) ديوانه:٩٧ ، تفسير الطبري : م٨، ج١٣ : ٣١٨ ، والبيت من الوافر
(٣) عدي بن ربيعة اخو كليب وائل الذي هاجت بمقتله حرب بكر وتغلب وسمي مهلهلاً لأنه هلهل الشعر أي رققة (الشعر والشعراء ٢٨٨/١).
(٤) ديوان مهلهل بن ربيعة ، اعداد وتقديم طلال حرب ، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦ : ٥١ ، وورد في الديوان لفظة (يقودهم) بدل (نقودهم)؛ تفسير الطبري: م٧، ج١٢ :١٠٣ ، والبيت من الوافر .
(٥) الحياة العربية من الشعر الجاهلي : د. احمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ط٤ : ٣٠٨ .
(٦) وعاظ السلاطين ، د. علي الوردي ، دار كوفان : ١٦ .

ولصعوبة الحياة البدوية، وشدة الجدب والقحط، والبحث عن الطعام رفع من شأن هذه الصفة لذا ((فرحوا بالضيف وأعزوه وبالغ الكرماء في الحفاوة به والتعهد له))[١].

وفي هذا السياق أورد الطبري قول لبيد بن ربيعة وهو يفتخر بأن كرمه يصل إلى من يسأله وإلى من لا يسأله فهو يكرم الغلام الذي أرسلته أمه من دون أن يسأل:

وَغُلَامٍ أرسلـــتْهُ أمُّهُ بَأَلوكٍ فَبَذَلْـــــنَا مَا سَأَلْ[٢]

بينما دوّن الطبري قول تأبط شرا[٣] وهو يرفض أن يكون سحابًا لا مطر فيه أو حجرًا املسًا صلبًا، بل هو جواد كريم كما يصف نفسه:

وَلسْتُ بِجِلْبٍ جِلْبِ رَعْدٍ وَقِرَّةٍ وَلا بصفٍّ صَلْدٍ عَنْ الخَيْرِ أَعْزَلِ[٤]

وإلى جانب ما ذكرته من الشجاعة والكرم فقد فخر العرب بالصفات النبيلة الآخرى كالحلم والوفاء والعفو عند المقدرة والابتعاد عن الخيانة والغدر.

وبعد أن تم حصر الأبيات في هذا الغرض التي ساقها الطبري في تفسيره وجدت أن الكرم، والجود، والتحمل، والصبر على الشدائد، والمكارم، والافتخار بالنسب، وبالشرف كانت من أبرز معاني الفخر عند الشعراء في العصر الجاهلي، ولم يكتفِ الشعراء بالفخر بأنفسهم، بل كانت لقبيلة الشاعر وقومه الأثر، والإشادة الأكبر في شعر الجاهليين فتغنوا بشجاعة وانتصارات قبائلهم واقوامهم على القبائل الآخرى في أثناء حروبهم معها وما إلى ذلك من صفات الفخر وعلو شأن التي كان يفتخر بها العربي في ذلك العصر .

---

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلي : ٣٠٩ .
(٢) شرح ديوان لبيد : ١٧٨، تفسير الطبري : م١، ج١ : ٢٦٠ والبيت من الرمل.
(٣) هو ثابت بن عسل ((الشعر والشعراء : ٣٠١/١).
(٤) شعر تأبط شراً ، تحقيق سليمان داود القرغولي وجبار تعبان جاسم ، مطبعة الادب في النجف الاشرف ، ط١، ط١، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ : ١٤٠ ، وقد ورد في البيت (ريح) بدل (رعد)، و (معزل) بدل (أعزل)؛ تفسير الطبري م٣، ج٣: ٨٦ ، والبيت من الطويل.

٦. غرض الهجاء:

الهجاء : جاء اسم هذا الغرض من هجاه بمعنى ((شتمه بالشعر، وهو خلاف المدح، قال الليث هو الوقيعة في الأشعار))[١]، ويعد هذا الغرض ((تعبير عن عاطفة السخط والغضب تجاه شخص أو جماعة تنتقم منهم، والشاعر الهجائي ينفس بأهاجيه عما في صدره من ضغائن واحقاد))[٢].

ويقال هذا الغرض ((في نفي الصفات الطيبة عن الذي يوجه إليه وإلحاق الصفات السيئة فيه))[٣]، إضافة إلى أدوات القتال التي يستخدمها المقاتل في المعركة، وكان الهجاء ((سلاحاً فاعلاً من أسلحة القتال يصف الشاعر به خصومه فيتوعدهم ويهددهم ويعدد معايبهم لينتقص من أقدارهم والحروب هي المصدر المناسب للهجاء يزدهر بازدهارها، وقد يسبقها في أكثر الأحيان، فشأنه في هذا شأن شعر الحماسة بالقصائد الهجائية وعلى الأخص تلك التي تتناول الهجاء القبلي، والشاعر الهاجي هو ابن قبيلته والمدافع عنها، عندما يشتد الغضب في صدره يتنفس فتتصاعد رياح الأحقاد في آبيات شعرية يطلقها قذائف دفاعية أو هجومية مهدداً متوعداً أو مدافعاً))[٤].

أما نشأته الأولى فقالوا: إنّ الهجاء نشأ مرتبطاً بالطقوس الدينية وهو: ((صورة من صور اللعنة التي كان يرهب بها الكهان من يريدون إرهابهم))[٥].

والشاعر الذي يهجو يرتدي لباساً وزياً خاصاً ومتشابهاً لزي الكهنة ويحلق رأسه ويترك له ذؤابتين ودهن أحد شقي رأسه ويلبس نعلاً واحداً وكان يصنع ما يقوم به الحاج في حجه، ودعاءه ربه[٦].

---

(١) لسان العرب: م٩ :٤٥، مادة (هجا).
(٢) الشعر الجاهلي ، خصائصه وفنونه:٢٢٣.
(٣) معجم المصطلحات العربية: ٣٤٩.
(٤) أدب العرب في عصر الجاهلية:١٣٨.
(٥) دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي:١٨١ .
(٦) ينظر: تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي):١٩٧.

ولقد ترك الهجاء رهبة في النفوس ولذلك كان الناس يتطيرون منه وكان مصدر تشاؤم لهم وكانوا يحأولون التخلص منه، وسبب آخر يكمن وراء خوف العربي من الهجاء وهو أن العرب تقرن بين ((السحر والهجاء للرهبة التي يتركها كل منهما في النفوس لذلك كانوا يعزون الهجاء إلى إيحاء وعون الشياطين يمدون الشعراء بالقول، فالشاعر حين يهجو يستعين بشيطانه لاستمطار اللعنات على خصومه كما يستعين الشاعر بالأرواح الشريرة لإلحاق الأذى بمن يريد سحرهم وقد ذكر الشعراء شياطينهم وسموها بأسماء خاصة منها الأنثى ومنها الذكر، فشيطان الأعشى اسمه (مسحل) وشيطان خصومه (جهنام)))[١].

ولو تأملنا في دراسة هذا الغرض في العصر الجاهلي لو جدنا أنه قد ارتبط ((بروح الصحراء العربية التي كانت تقوم على التنافس والحروب بين القبائل وكانت المعاني في قصيدة الهجاء تذم الضعف والبخل واختلاط النسب لكن ألفاظ الهجاء لم تكن مقذعة مقارنة بالهجاء في العهود التالية))[٢]، وقد تعددت صفات المهجوين على وفق أفعالهم ومواقفهم وأساليبهم في منظار الشاعر الهاجي وفي الغالب يكون الهجاء في صنفين أو نوعين من الناس :-

النوع الأول: ما يتنأول إنسانًا أو فرداً واحداً و يسمى الهجاء الشخصي أو الهجاء الفردي وفيه الحط من قيمة المهجو وذكر عوراته وإلحاق الذل والعار به، وأورد الطبري في تفسيره قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي[٣]، وهو يهجو الملك فروة بن مسيك بأنه رجل غدار فقال:

---

(١) أدب العرب في عصر الجاهلية : ١٣٩ ـ ١٤٠ . ١٩٧.
(٢) الهجاء في الشعر العربي ، اعداد سراج الدين محمد ، دار الراتب الجامعية ، بيروت، لبنان : ٨.
(٣) هو من مذحج ويكنى بأبي ثور وهو ابن خالة الزبرقان بن بدر التميمي (شعر والشعراء : ٣٦٠/١).

وَإنَّكَ لَوْ رَأيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ مَلَأتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَتْرٍ[١]

ومن الأمثلة الآخرى لهذا النوع من الهجاء ذكر الطبري قول الأعشى هاجياً عمرًا بن المنذر، لأنه لا يكرم ضيفه وأنه لا يحمي جيرانه فقال:

وَلَيْسَ مُجِيْرًا إنْ أتَى الْحَيَّ خَائِفٌ وَلَا قَائِــلاً الّا هــُـو المُتعَــيِبَا[٢]

والثاني: ما يسمى بالهجاء الجماعي وفي الغالب يكون في هجاء قوم، أو قبيلة بجميع أفرادها وهو أشهر أنواع الهجاء، ومن أمثلته ما أورده الطبري من قول أوس بن حجر في هجائه لبني لبينى وهم من ((بني أسد بن وائلة يعيرهم بأنهم أبناء أمة إذ ينسبهم إلى الأم تهجياً لشأنهم وأنهم هجناء))[٣]، والشاعر يهجوهم بأنهم من الضعف والوهن مثل يدٍ تعطل عملها فقال فيهم:

أبَني لُبَيْنَى لَسْتُم بَيَدٍ إلّا يَداً لَيْسَتْ لَهَا عَضُدُ[٤]

وينقل الطبري شاهداً آخر من هجاء أوس بن حجر في بني لبينى واصفاً إياهم بأنهم مبعدون عن ساحة الكرم والكرماء وهو يبعدهم كما تبعد العصا التي يضرب بها القطن والصوف والتي تبعد ما تلبد منه[٥] فقال:

يُنْفَونَ عَنْ طُرُقِ الكِرَامِ كمَا تَنْفِي المَطَارِقُ مَا يَلِي القَرَدُ[٦]

ويسوق الطبري قول الأعشى في هجاءٍ لاذعٍ على بني إياد وهي قبيلة من نبط الأعاجم، وأنها تسكن البطائح وأن القمل يملأ أجسادهم[٧] فقال:

---

(١) ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي صنعه هاشم الطعان، وزارة الثقافة والاعلام، مطبعة الجمهورية ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م : ١٠٥ ، تفسير الطبري: م١١، ج٢١ : ١٠٣، البيت من الوافر.
(٢) ديوانه: :١٨، تفسير الطبري: م٨ ، ج١٤ : ١٣٨، والبيت من الطويل.
(٣) ديوانه: ٢١.
(٤) المصدر نفسه: ٢١ ، تفسير الطبري : م٨، ج١٤: ١٣٨ ، والبيت من الكامل.
(٥) ينظر: ديوانه :٢٢
(٦) ينظر: المصدر نفسه :٢٢، ووردت لفظة (تنفون) بدل (ينفون)، تفسير الطبري: م٤، ج٦ : ٢٨٥، والبيت من الكامل.
(٧) ينظر: ديوانه: :٧٣.

قَـوْمٌ تُعَـالِجُ قُمَّـلا أَبْنَـاؤُهُمْ وَسَلاسِـلا أُجُـدًا وَبَابًـا مُؤْصَـدَا [١]

وهناك نموذج آخر للهجاء نجده في بيت أورده الطبري من أبيات حاتم الطائي في هجائه بني ثعل وهو يشجع على غزوهم وأنهم أعداء للشرف والحسب فقال فيهم:

اغْزُوا بَنِي ثُعَلْ فَالْغَزْو جَدُّكُمُ عُدُّوا الرَّوَابي وَلَا تَبْكُوا لِمَنْ قُتِلَا [٢]

ومن الأساليب التي استخدمها الشاعر الهاجي والتي كانت ذات وقع مؤلم على الإنسان العربي، الطعن في حبه و التشكيك فيه، والطبري ذكر قول أوس بن حجر وهو يهجو بهذا الاسلوب قوم شعيث وهم حي من تميم في أنه لا يدري هم ينتمون إلى سهم أم إلى منقر[٣] فقال فيهم:

لَعَمْرك مَا أدري وإن كنتُ داريا شُعَيْبُ بْن سَهْم أم شُعَيب بْنِ مِنْقَرِ [٤]

---

(١) ديوانه: ٧٣ ، وردت لفظة (يعالج) بدل (تعالج) تفسير الطبري: م ٦،ج٩: ٤٣ ، والبيت من الكامل.
(٢) ديوانه: ٣٩ ، وردت لفظة (حظكم) بدل (جدكم) ولفظة (نكلا) بدل (قتلا)، تفسير الطبري: م ١٤، ج٢٩ :١٢٨، والبيت من البسيط.
(٣) ينظر: ديوانه:٤٩.
(٤) المصدر نفسه: ٤٩ ، ورد البيت باللفظ الاتي (أمن حزن محجن) بدل (وان كنت دارياً) ولفظة (حزن بن منقر) بدل (شعيث بن منقر)، تفسير الطبري : م٥، ج٧ : ٣١٢ ، والبيت من الطويل.

مميزات الهجاء الجاهلي :

١. تميّز الهجاء بقصر قصائده ((فأكثره مقطعات و أبيات ويرون أنّ قصر الهجاء وعفته هما أول أسباب رواجه وأشهرته))[١].

٢. يلتزم في الغالب شعراء الهجاء ((الوضوح والبساطة والبعد عن الصنعة والتكلف، لأنه وليد الفطنة وسرعة الخاطر واللمحة الدالة))[٢].

٣. تساق في الغالب أبيات الهجاء في تضاعيف قصائد الحماسة والإشادة بأمجاد القبيلة وانتصاراتها الحربية في بطولاتها وفرسانها وذودهم عن القبيلة[٣]، ونجد أن غرض الهجاء يشترك في قصيدة مع غرض آخر وفي قصيدة واحدة ونجد اشتراك الهجاء مع المدح في قصيدة ((يبدأ الشاعر مدح من يعطيه من القبائل أو السادة، وهجاء من يمدحهم ومن ثم فإن من الهجاء ما يكون تكسباً كالمديح ومثل هذا الهجاء يشبه المناظرات التي كانت تدور في الجاهلية))[٤].

٤. مما تميز به هذا الغرض في عصر الجاهلية أنه ((نزيه في معظمه لم يألف فيه الشاعر معاني الفحش والتشهير كما استمرأها فيما بعد شعراء العصر الأموي))[٥].

وبعد دراسة هذا الغرض نلمسُ أنّ اغلب شعراء الهجاء في العصر الجاهلي ذوو بواعث قبلية بسبب كثرة الصراعات التي تحدث بين قبيلة وآخرى.

وظهر من خلال دراسات أبيات الهجاء أن الشاعر الهاجي كان يصب الرذائل السيئة والقبيحة كلها على المهجو واصفاً إياه بالغدر والخيانة، ولم يقف الشاعر عند هذا الحد بل راح يطعن بالشرف والنسب والحسب وتعير البعض بأنهم أبناء الإماء

---

(١) الشعر الجاهلي ، خصائصه وفنونه : ٢٤٢ .
(٢) أدب العرب في عصر الجاهلية : ١٤٣.
(٣) ينظر: تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي): ٢٠٢ .
(٤) دراسات في الادب الجاهلي : ١٨٩ .
(٥) أيام العرب واثرها في الشعر الجاهلي: ١٥١.

ولم يكتف الشعراء بهجاء فرد أو شخص واحد، بل اتسع هجائهم ليشمل قبائل وأقوامًا بأكملها بالذل والهوان والنفي عن طريق الكرام ودفعهم عن الصفات الحسنة وإلحاق العيوب والرذائل كلها بهم، ولكن لا ينبغي أن نحصر هذا الغرض في بعدٍ واحد بوصف لا يتعدى السباب والشتم وأن نجهل أنّ لهذا الغرض بعداً آخر فهو الواعظ ، كما يقدم ((دروساً اخلاقية تشجعنا على العمل بعكس هذه الصفات التي استدعت الهجاء ، والشاعر بقوة ألفاظه الهجائية يصور لنا وجهين للحقيقة والحياة وجه للخير ووجه للشر، فهو إذا يرسم لنا مثالاً أعلى يدعونا للتطلع إليه))[١].

(١) الهجاء في الشعر العربي: ٨.

٧. غرض الرثاء:

الرثاء: هو غرض شعري قديم اشتهر عند العرب وكان الشعراء يمدحون ويعدون مناقب الميت من شجاعة وكرم وعلم وغيرها من الصفات النبيلة والقيم السامية في ذلك المجتمع، لذا يعد هذا الغرض نوعًا من المدح، لكنه للميت ويقال: ((رثأت الرجل رثأ : مدحته بعد موته))[١]، ولذا يرى قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) عند تناوله نعت المراثي ((إنه ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك مثل: (كان) و (تولى) و (قضى نحبه) وما اشبه ذلك))[٢] ووقف ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) مع الرأي فقال: ((ليس بين الرثاء والمدح فرق، إلا أن يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت))[٣]، ولذا جاء هذا الغرض ممزوجاً بالمدح ويطلب به الثأر للميت إذا كان مقتولاً والتهديد لقاتله، لذا كان الغرض ((وثيقة الصلة بالحماسة ، فقد كان الشعراء الجاهليون يرثون أبطالهم الذين سقطوا صرعى في حومات الوغى، وهم بذلك يثيرون قبائلهم لتأخذ بثأرهم، ومعنى هذا أنّ الرثاء بدأ بالشعر الجاهلي بداية حماسية مرتبطة بالدور الذي كان الشاعر يقوم به في المجتمع القبلي))[٤].

أما البواكير والجذور الأولى التي تعد حجر الاساس في نشأة هذا الغرض وبداياته ((إنما هو تطور عن تعويذات كانت تقال للميت، وعلى قبره بصورة خاصة حتى يطمئن في لحده وبمرور الزمن تحولت تلك التعويذات إلى بكاء ونواح وندب حار يبكون في الميت الشجاعة والنجدة والكرم والوفاء))[٥].

وعند تتبع هذا الغرض وجدت أنه يدور في جانبين أولهما أنّه من خلال الغرض تعبر النفس عن مشاعر الحزن والأسى لعقد المرثي والجانب الثاني هو تعداد لمحاسن

---

(١) لسان العرب: م٤: ٦٣، مادة (رثأ).
(٢) نقد الشعر: ١٠٠.
(٣) العمدة: ٢ / ٩٦ .
(٤) دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي : ١٦٨.
(٥) أدب العرب في عصر الجاهلية: ١٤٤ ، وينظر دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي : ١٦٨.

الميت، وإذا كان الميت مقتولاً جعل الشاعر الراثي في رثاءه للميت هجاء لخصوم المرثي والفخر بقومه والمطالبة بثأره[١].

وفي دراسة هذا الغرض نجده تميز بميزات منها:

إن الشعراء لا يبدأون قصائدهم بالمقدمات التي اعتاد الشعراء أنْ يفتتحوا بها مطالع قصائدهم ((فليس من عادتهم أن يقدموا لمراثيهم بما اعتاد الشاعر الجاهلي أن يفعل في الأغراض عندما يفتتح قصائد بمقدمات غزلية أو طللية أو خمرية، لأن المقام لا يناسب ذلك وإذا ظهرت حالة أو حالتين من هذا القبيل، فقد علل القدماء بأن الشاعر إذ نال ثأره من القاتل، ومضت على الحادثة مدة طويلة يتذكر زوجته أو أهله فيبدأ الرثاء بوصف حالة مع زوجته التي أقسم على عادة الجاهلية أن لا يقرب منها حتى يثأر لأخيه وها هو الآن قد أدرك بعد مضي دهر من فراق زوجته))[٢].

وإن من أبرز ما نلمسه في هذا الغرض في العصر الجاهلي ((كان أكثره مصروفاً إلى سادات العشيرة وفرسانها الذين لهم عليها اليد الطولى في حمايتها وقيادتها والقيام على مصالحها، فهم الذين يستحقون البكاء بهذا الصوت العالي شحذاً لهمم الأحياء وتحريكاً للقبيلة حتى تثأر لهم))[٣].

وتعارف الشعراء في غرض الرثاء ((أن يضربوا الأمثال بما سلف من الأنبياء والملوك والأمراء والعظماء، وبما هلك من الوعول المعتصمة بقمم الجبال والأسود الخادرة في ثنايا الغياض وحمر الوحوش الضاربة مجاهل القفار، ثم بالنسور والحيات ذات البأس والقوة والعمر المديد))[٤].

---

(١) ينظر: دراسات في الادب الجاهلي : ١٩١.
(٢) تاريخ الادب العربي قبل الإسلام: ٢١١.
(٣) الأدب العربي بين البادية: ١٥٠ .
(٤) دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي : ١٧٣ .

وممّا تميّز به هذا الغرض الشعري أن النساء أجدن فيه وقد رثينَ إخوتهن وآبائهن وأزواجهن ورجال قبائلهن ونقيض ذلك تماماً انه ((لم يؤثر عن الشاعر الجاهلي أنه رثى المرأة ولم يمدحها ايضاً، بل قصر مديحها على الغزل والنسيب والتشبيب))[١].

النساء في رثائهنّ وندبهنّ الميت ((يشققن جيوبهن عليه ويلطمن وجوههن ويقرعن صدورهن ويعقدن مأتماً من العويل والبكاء))[٢]، ومن يبحث في أغوار الرثاء في العصر الجاهلي يعجب من العدد الكثير للشواعر في ذلك العصر، وإذا بحثنا في ((سمات مراثي النساء وميزاتها فقد اجتمعت كلها في شعر الخنساء التي تحتل مركز الصدارة في هذا اللون من الأشعار))[٣].

وعلى الرغم من أن الرثاء أقرب الى المرأة منه الى الرجل لطغيان العاطفة عليها، نرى أن الرجال قد احترفوا هذا الغرض، ممن كان لديهم الصوت الشجي المؤثر في إثارة الحزن والبكاء في نفوس الناس ويصاحب ذلك ضرب بالصُّوج ونقر الدف لتعظيم الفجيعة[٤] ،وفي دراسة أشعار الرثاء نجدها أنها جاءت على ثلاثة ألوان أو أشكال يمكن التمييز بينها وهي :-

١. **الندب**: ((يقال هذا الضرب من الرثاء في المناحات بكاء ونواح على الميت بألفاظ مؤلمة كثيرة الحزن تستمطر الدموع من العيون وتصعد الآهات من الصدور ويصحب ذلك لطم على الوجوه بالأكف))[٥].

---

(١) تاريخ الادب العربي قبل الإسلام : ١٩٢ .
(٢) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) : ٢٠٧.
(٣) الرثاء في الاندلس (عصر ملوك الطوائف): د. فدوى عبدالرحيم قاسم، رسالة ماجستير، اجازتها جامعة النجاح الوطنية نابلس ، فلسطين بإشراف د. وائل ابو صالح ١٣٢٣هـ - ٢٠٠٢ م :١٢ .
(٤) ينظر: الشعر الجاهلي خصائص وفنونه : ١٩٧ .
(٥) أدب العرب في عصر الجاهلية : ١٤٤ .

٢. **التـأبين**: دار هذا الضرب على شكل ثناء، يقال على الميت بمداحه، وذاكر الفضائل والمحامد والمثل السامية التي يتميز بها[١].

٣. **العزاء**: المصير الحتمي للإنسان في هذه الحياة هو الموت لذلك اتجه هذا الضرب المسمى (العزاء) إلى ذكر فاجعة الموت والأقدار ونوازل البلاء وإلى التعزية بالموت الذي لابد منه والذي يرد الجميع ولا ينجو منه لا غني ولا فقير، ولا عبد ولا ملك[٢].

وفي دراستي لغرض الرثاء في تفسير الطبري وجدت أنه يدور في محورين: الأول منهما رثاء الإنسان نفسه، والثاني رثاء الأهل والأخلاء، وفي رثاء النفس أورد لنا الطبري قول لبيد بن ربيعة وهو يوصي ابنته أن تبكيه عاماً كاملاً بعد وفاته حزناً عليه:

الَى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عليكُما وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلاً فَقَدْ اعْتَذَر[٣]

اما الشنفرى[٤] وبعد أن قتل مائة رجل من بني سلامان وبعد ظفرهم به وهم يريدون قتله قالوا له: اين نقبرك؟ فقال وهو يرثي نفسه وهو في القبر[٥]:

هُنَاكَ لَا ارْجُو حَيَاةً تَسُرُّنِي سَمِيْرَ اللَّيَالِي مُبْسِلاً بِالجَرَائِرِ [٦]

وفي رثاء الأهل نجد أنّ موت أربد الذي دعا عليه الرسول (ﷺ) بعد أن جاء ليغدر به، فأصابت أربد صاعقة فحرقته[٧] وترك هذا الحدث المؤلم أثره وأخذ مأخذه في نفس نفس أخيه الشاعر لبيد بن ربيعة، وقد أورد الطبري قوله وهو يرثي اخاه:

---

(١) ينظر: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه : ١٩٧ ؛ وينظر : ادب العرب في عصر الجاهلية : ١٤٥.
(٢) ينظر: ادب العرب في عصر الجاهلية : ١٤٦ ؛ وينظر : الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه : ١٩٨ .
(٣) شرح ديوان لبيد :٢١٤، تفسير الطبري : م٦، ج١٠ : ٢٦١ والبيت من الطويل.
(٤) شاعر صعلوك، يمني الأصل من بني أواس من الأزد، (شعراء العرب في العصر الجاهلي:١١٧).
(٥) ينظر: ديوان الشنفري ، جمعه وحققه وشرحه د. اميل بديع يعقوب ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦ م:١٠ ،٤٨.
(٦) المصدر نفسه: ٤٨ ، و وردت لفظة (سجيس) بدل (سمير)، تفسير الطبري:م٥، ج٧: ٢٩١، والبيت من الطويل.
(٧) ينظر: ادب العرب في عصر الجاهلية : ١٤٦ ؛ وينظر : الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه : ١٩٨ .

عَيْنُ هَلّا بَكِيتِ اَرْبَدَ اِذْ قُمْنَا وَقَامَ الخُصُومُ فِي كَبَدِ[١]

ويبدو أن الشاعر كان شغوفاً بحب أخيه ويخشى عليه من الموت والفواجع فقد ساق الطبري قول لبيد وهو يبكي أخاه:

أَخْشَى عَلَى أرْبِدَ الحُتُوفَ وَلَا أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ وَالأَسَدِ

فَجَّعَنِي الرَّعْدُ والصَّوَاعِقُ بِالْـ فَارِسِ يَوْمَ الكَرِيْهَةِ النَّجْدِ [٢]

وفي رثاء النساء ذكر لنا الطبري قول الخنساء وهي ترثي أخاها صخراً والذي تجد فيه كل الصفات والمثل النبيلة فقالت راثيةً له:

وَذِي كُرْبَةٍ أَرْخَى ابْنُ عَمْرٍو خِنَاقَهُ وَغُمَّةٍ عَنْ وَجْهِهِ فَتَجَلَّتِ[٣]

ولم يقتصر الرثاء على الأهل أو الأقرباء وإنما يتعدى ذلك إلى أصناف أخرى منها الاصحاب، والطبري جاء بقول ساعدة بن جؤية الهذلي[٤]، وهو يصف رجلين رأى صاحبهما وقد قُتل بعد أن حاصر خصومه فقال:

وَقَالُوا تَرَكْنَا الحَيَّ وَقَدْ حُصِرُوْا بِهِ فَلَا رَيْبَ أنْ قَدْ كَانَ ثَمَّ لَحِيْمُ[٥].

والحيم: هو الميت .

وبعد الاستقصاء في أبيات الرثاء وجدت أن الشعر الذي رصده الطبري جاء في التعبير عن النفس وما تجتاحها من الأمراض والعلل والمصائب ووصفها بصورة مؤلمة ومؤثرة تثير شجون الآخرين وحزنهم، هذه الصورة طغت وشكلت محورًا أساسيًا من محاور الرثاء في العصر الجاهلي ووجدت عند الدراسة أن الشعراء

---

(١) شرح ديوان لبيد: ١٦٠ ، تفسير الطبري م١٥، ج٣٠ : ٢٤٨ والبيت من المنسرح.
(٢) شرح ديوان لبيد: ١٥٨ ، تفسير الطبري م٨، ج١٣ :١٥٤ والبيتان من المنسرح .
(٣) ديوانها:٢٨، ووردت لفظة (مختنق) بدل (ذي كربة)؛ تفسير الطبري: م٧، ج١١: ١٧٧. والبيت من الطويل.
(٤) أحد بني كعب بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل (منتهى الطلب في اشعار العرب ، جمع محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون (٥٢٩- ٥٩٧هـ)، تحقيق وشرح د. محمد نبيل طريفي، ط١، ١٩٩٩م: م٩/ ١٧٣).
(٥) منتهى الطلب في أشعار العرب:١٧٣/٩؛ تفسير الطبري:م١، ج١: ١٢٨. والبيت من الطويل.

والشاعرات في هذا الغرض انشدوا قصائدهم بمشاعرهم الصادقة وحزنهم الشديد في رثاء الأهل والأخلاء .

والتمست ذلك بوضوح في رثاء لبيد بن أبي ربيعة حين رثى أخاه أربد وكذلك الخنساء في رثاء إخوتها، وقد رثوهم بقصائدهم اللوعة والحزن التي عبرت عن الوفاء وأظهرت صدق وسمو العلاقات الاجتماعية في ذلك العصر ومثلت الحب المتبادل والوشائج الصادقة بين الأهل وبين أبناء ذلك المجتمع .